قوموا ...فالأمة تنتظركم

لم أخلق عبثًا

المؤلفة : فاطمة عمار ورد

ما حملني على كتابة هذا الكتاب ليس رغبةً في أن يُقال: "كتبتُ وعملتُ"، ولا شغفًا بمديحٍ أو ثناء، فذلك كله عندي غبارٌ يذروه الريح.

إنما قصدي أن أمتثل وصية رسول الله ﷺ:

«بلِّغوا عني ولو آية»

وأُؤدي أمانة البلاغ، رجاء أن ألقى الله وقد صدقتُ في النصح لدينه وعباده.

وكل فصلٍ فيه، ما خططتُه إلا بمدادٍ من كتاب الله وسنة نبيه، ليكون القول حجةً من الحق، لا زخرفًا من الهوى.

ورسالتي إليكم أيها القرّاء الكرام :

لا تساوموا في دينكم قَط، ولا تفرّطوا في ثوابته تحت أي راية أو ذريعة. تعلّموا، وتفقّهوا، وكونوا الجذر الصالح الراسخ لأبنائكم. علّموهم التوحيد والعقيدة الصافية، واغرسوا في قلوبهم السنة النقية، وربّوهم على الغيرة على الدين وحمايته، وحب الدفاع عنه بصدق وعزم.

أنشئوا بيوتًا قائمة على نهج الله وسنة رسوله ﷺ، بيوتًا طاهرة من رجس ما أفسد هذه الأمة. وابدؤوا بأنفسكم: تعلّموا، وتفقّهوا، واصبروا على مرارة الطلب، حتى تكونوا أنتم المنبع الذي ينهل منه أبناؤكم العلم والثبات. فإننا نعيش زمنًا يشتد فيه الفساد، ويضعف فيه الحياء، وتبهت فيه معالم الدين.

ازرعوا في أولادكم حب الجهاد في سبيل الله، وعلّموهم أن عزّة الأمة برجالها الذين لا يخافون في الله لومة لائم، رجال يقيمون الحق مهما تكالبت الفتن، ويرفعون راية الإسلام عالية خفّاقة.

وإليكنّ، أيتها الفتيات، نداءٌ من القلب: أنتنّ عماد الأمة ومنبع رجالها، وبأيديكنّ مفاتيح الصلاح أو أبواب الفساد.

فكونوا حارسات العفّة، وصانعات المجد، وحاملات مشاعل الهداية في دروب الظلام.

اعرفن قدر الأمانة التي أودعها الله في أعناقكنّ، فهي ليست مجرد أدوار تؤدَّى، بل رسالة تُحمل، وجيل يُنشأ، وأمة تُبنى

أو تُهدم. فأرين الله من أنفسكنّ ما يحبّ ويرضى، وكونوا القدوة في الطهر والثبات، لتخرجن من بيوتكنّ رجالًا إذا ذُكر الحق كانوا أوّل أنصاره، وإذا دُعي إلى العزّة كانوا في الصفوف الأولى.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

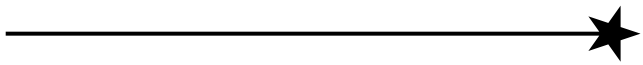

بدايةً، أنا لستُ عالمة، ولا فقيهة، ولا داعية.أنا فقط إنسانة تاهت يومًا في زحام الفتن، بين الحقيقة والوهم. كنت من أولئك الذين ظنّوا أن الإسلام مجرد صلاة وصوم ودعاء لا أكثر. ولم يكن ذلك نابعًا من تقصيري، ولا من قلّة اهتمامي بديني، بل لأن البيئة من حولي صوّرت الدين على أنه عاطفة خفيفة، تهواها الأنفس حين تشاء وتدير لها الظهر حين تشاء.

ولهذا، أعلم تمامًا كيف يمكن أن تجلس وتضحك بينما في داخلك كل شيء ممزّق.

أدرك جيدًا شعور التشتّت، والفراغ، والضياع، رغم أنك تعرف اسم "اللّٰه" منذ كنت طفلًا.

فإن كنت تائهًا فأنا أُشبهك.

وإن كنت راجعًا إلى اللّٰه فأهلًا بك.

اعلم رحمك اللّٰه،

أن هدف هذا الكتاب أن أوصل إليك حقيقة بعض الأمور التي جهلتها أنا، لعلّ اللّٰه يكتب لك به نورًا، ويجعل من كلماته بدايةً لطريقٍ مستقيم.

أما بعد:

أعلم أخي المسلم وأختي المسلمة رحمكم الله، أنه يجب علينا تعلّم أربعة مسائل كما صنفها العلماء :

- **الأولى: العلم**

وهو معرفة الله عزّ وجلّ، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام، لأنه لا يجوز أن يعبد الله بلا علم، ومن فعل ذلك قصّره إلى الضلال، وقد شابه النصارى في ذلك.

- **الثانية: العمل**

ومن عَلِم ولم يعمل فقد شابه اليهود، لأنهم علموا ولم يعملوا، ومن حيل الشيطان أنه يتنقر من طلب العلم ويوهم الإنسان أنه معذور عند الله بجهله، وما علم أن من أمكنه التعلم ولم يفعل فقد قامت عليه الحجة، وهذه حيلة قوم نوح حين ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُم﴾ لتقوم عليهم الحجة.

- **الثالثة: الدعوة إليه**

لأن العلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء، وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم:

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَاكَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: 79)

والدعوة والتعليم فرض كفاية إن قام به من يكفؤ لم يأثم أحد، وإن تركه الجميع أثموا

- **الرابعة: الصبر على الأذى**

في تعلم العلم، والعمل به، والدعوة إليه.

___ لماذا أنا هنا؟ ___

لم يكن هذا السؤال عابرًا
بل كان يوقظني في منتصف الليل، ينبت في داخلي كلما ضحكتُ بلا طمأنينة، ويصرخ في قلبي كلما خلت الأماكن من الناس وامتلأ صدري بالفراغ. لماذا أنا هنا؟ هل جئتُ إلى هذه الحياة صدفة؟ وهل أنا مجرّد رقم جديد على الأرض؟ أعيش لأدرس، ثم أعمل، ثم أتزوج، ثم أهرم ثم يُغطّيني التراب؟
أيُّ عبثٍ هذا؟
كنتُ أُردّد الأسئلة ذاتها في داخلي، لكن دون أن أجد لها إجابة تُرضي عقلي وتُريح قلبي.والمؤلم أنني نشأتُ في بيئةٍ تتمسّك بالعادات والتقاليد، تُقدّس الموروث دون أن تطرحه على ميزان الوحي، تُردّد الأذكار وتُؤدي العبادات كما وُرثت،دون أن تسأل: هل ما نفعله عبادةٌ شرعية؟ أم بدعةٌ ما أنزل الله بها من سلطان؟
كنتُ أراهم يقولون بثقة:
"هكذا تربّينا وهكذا وجدنا آباءنا يفعلون."
لكنّ أحدًا لم يسأل نفسه: هل ما ورثناه عن أهلنا حق؟ وهل ما نكرّره يوميًا له أصلٌ في الكتاب والسنة؟ أم أننا نعبد الله على غير هُدى، ونحسب أننا نحسن صنعًا؟ وهنا كان جُرح السؤال الحقيقي: أين الدليل؟ وأين ما يُطمئن قلبي أن ما أفعله يُرضي

اللّٰه، لا فقط الناس؟ وكنتُ أبحث عن اللّٰه حقًا، أن أجده في أعمالي، أن أراه في قلبي

لكن لا أحد علّمني كيف تبدو الأمور الحقيقية، كلّهم متستّرون خلف رداء العادات والتقاليد دون أيّ دليل. لم أكن أريد جوابًا جاهزًا كنت أبحث عن يقين، عن كلمة تُنقذني من شتاتي، عن نورٍ يُنير داخلي ويعيدني إلى الطريق. وحينها وقعت عيني على آية، قصيرة، لكنّها غيرتني:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[سورة الذاريات]

"ليعبدون"

كأنها الجواب الذي انتظرته سنوات. لم يُخلَق هذا القلب ليرضي الناس، ولا هذه النفس لتُلهى بكل ما في الدنيا، ولا هذا العقل ليُستَخدَم فقط في البحث عن الوظيفة، والنجاح، والعلاقات.

بل أنا هنا لأعبد اللّٰه.

وهنا فهمت شيئًا مهمًا:

العبادة ليست فقط صلاةً وصومًا، بل هي أن أعيش لله،وأن أنوي بكل عملٍ وجهه، أن أراه في كل شيء في النعمة، في الابتلاء، في التفاصيل الصغيرة والكبيرة.

ثم قرأت قوله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾

[سورة المؤمنون]

فارتجف قلبي

هل حقّا ظننتُ أن حياتي عبث؟ أنني أُمنَح النِّعَم ثم أُنسى؟ أنني أُذنب ثم لا أُحاسَب؟ أنني أُظلَم ثم لا يُنصفني أحد؟

لا

هناك هدف.

هناك رجعة.

هناك ربّ خلقني، لا ليُنسيني

بل ليهديني إليه.

وحدها تلك الأيام كانت كفيلة أن تنتشلني من قاع الجهل المغلّف بثوب الدين، ذلك الجهل الذي تربّى على عاداتٍ وتقاليد لا أصل لها، ثم نُسب إلى الإسلام زورًا، وظننّاه دينًا. لم يكن في حياتي شيخٌ يدلّني، ولا منارة علم تُضيء لي الدرب. كنتُ وحدي، أمشي بين ظلمات الشك، أسير على طريقٍ لا أعرف أوله من آخره. بدأت رحلتي من بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس، وقتٌ من أعظم الأوقات، جعلته خلوة بيني وبين اللّٰه، خلوة للبحث، للتدارس، للصدق. كنت أقرأ وأقرأ، وكلما غصت أكثر، شعرت أنني لا أعلم شيئًا. كنت أُذهل من كثرة السبل وكثرة الفرق، وكلٌّ يقول: "نحن الحق".

وهنا، صادفني حديثٌ ثبتني قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث

وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي". [رواه الترمذي وحسنه الألباني]

كأن الحديث جاء ليحمل طرف الخيط ذلك الخيط الذي طالما بحثت عنه وسط الضجيج. لكن السؤال ظل يؤرقني: من مِن الشيوخ على طريق رسول الله وأصحابه؟ الجميع يدّعي حب الله، والجميع يزعم التمسّك بالسنة، والجميع يلبس لباس أهل الحق. فبدأت أستمع، وأشاهد، وأُقارن، وأدوّن سنةٌ كاملة أمضيتها من عمري في بحثٍ مضنٍ، لا ألتفت فيه للأسماء ولا للأشخاص، بل أُقيس كل كلمة بميزان القرآن والسنة، فما وافقهما أخذتُ به، وما خالف، رددتُه وإن قاله من قال. وقد قال الله تعالى :

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]

وكم بعث الله لي من عبادٍ صالحين، ما إن قالوا لي كلمة، حتى كانت كأنها نورٌ يُضاء لي به جزء من الطريق، فأتمسك بها وكأنها نجاتي. ولكن لم تكن كل الطرق نورًا، بل التقيت أناسًا ضلّوا الطريق، وكانوا سببًا في تشويش فكري لكني لم أكن ممّن يُقلّد بلا فَهم، بل كنت أزن النصيحة بميزان الوحي، أضعها تحت ضوء الكتاب والسنة، فما وافقهما فهو الحق، وما

خالفهما فباطلٌ لا يغريني جماله. لم يكن ينفعني النقل بقدر ما كانت تنفعني "رحلة البحث"، هذه الرحلة التي جعلتني أرى، لا بعيني، بل ببصيرتي.

ثم بدأت ملامح الطريق تتضح. لم يكن طريقًا مفروشًا بالورود، بل كان مفروشًا بالألم، بالخذلان، وبكثيرٍ من الصراعات الداخلية. كل خطوة كنت أخطوها نحو الحق، كانت تفصلني عن أحدٍ كنت أظنه على صواب. وكل بابٍ يُفتح لي على نور، كانت تُغلق دونه أبواب من العتب والرفض والتخوين. كان ثمن الهداية باهظًا... لكنه لم يكن أغلى من نجاتي. كنت أُعيد ترتيب قلبي، أحذف ما امتلأ به من أصنام بشرية، وأسجد لله وحده.

لا شيخ فوق القرآن، ولا شيخ فوق السنة، ولا شيخ يُقدَّم على قول رسول الله ﷺ. كنت أراجع نفسي كثيرًا

هل أنا على الطريق؟ هل هذه هي الفرقة الناجية؟ لكن شيئًا واحدًا كان يطمئن قلبي دائمًا: أنني لا أتبع إلا الدليل.

فإن وُجد الدليل، سجد قلبي قبل عقلي. وفي لحظة من اللحظات، وأنا أقرأ حديثًا عن السلف، وقفتُ طويلًا عند قولهم: "اعرضوا أقوالنا على الكتاب والسنة، فإن وافقت فخذوها، وإن خالفت فاضربوا بها عرض الحائط." قولًا للإمام مالك بن أنس رحمه الله ، ويُروى عنه قوله:

"كلٌ يؤخذ من قوله ويُرد، إلا صاحب هذا القبر" وأشار إلى قبر النبي ﷺ.

أحسست بعِظم ما أنا فيه.هؤلاء هم من كانوا يُضيئون للأمة الدرب، ومع ذلك لا يرضون أن يُتّبعوا دون بينة، فكيف نرضى اليوم أن نأخذ من فلان لأنه فقط "عالم مشهور"، أو لأنه "قريب من قلوبنا"؟! هنا، انطلقت مرحلة جديدة

مرحلة "الإثبات"، لا الاكتفاء بالبحث. أصبحت لا أكتفي بالمعرفة، بل أعيشها، أُثبتها في جوارحي، في صلاتي، في قراءتي، في طريقتي في فهم النصوص، في ضبطي لما يقال، في تمييزي بين ما كان من الشرع، وما كان من زخرف القول. تحوّل الدين عندي من عادةٍ وجُمل محفوظة، إلى عقيدةٍ أريدها أن تهزّ الجبال.

صرتُ أعيشُ الدِّين، لا أُردده. ألمسُ الفرقَ بين من يُصلّي لأن الصلاة فريضةٌ تُؤدّى، ومن يُصلّي لأن قلبه لا يقوى على الغياب عن بين يدي اللّٰه، ولو لحظة. أدركتُ أن الدعاء ليس طقوسًا نرفع بها الأيدي ونُسدلها، بل انكسارٌ خالص، نذوب فيه خضوعًا واستسلامًا وافتقارًا. وأن قيام الليل ليس نافلةً فقط، بل حياةٌ سريةٌ بينك وبين ربّك، تُشهِدك على نفسك حين يغيب الناس، وتشهد لك حين يسقط زيفك أمامهم. في زوايا هذه التجليات ظهر أول اسم اهتز له عقلي، شيخٌ سلفي لا يُجامل، كلماته كالسيوف، لكنها لم تكن تُجرّح، بل كانت تُنقّي. في أول درسٍ سمعته له، لم أرتَح، شعرت بالرفض!لكنني ما لبثت أن سألت نفسي: هل أرفضه لأنه

أخطأ؟أم لأنه قال ما لا يُعجب هواي؟ ما لا يُرضي عاطفتي أو ثقافتي أو بيئتي؟وهنا بدأ التحوُّل الحقيقي

بدأتُ أميّز بين الراحة النفسية التي أطلبها من الدين، وطمأنينة الدليل الذي يُرضي اللّٰه. بين مَن يُرضيني، ومَن يُرضي اللّٰه. حين سمعتُ أول فتوى فيها تجرّد للحق، شعرت أن الأرض تميد بي، لكنها كانت أول خطوة في الطريق.

أصبحتُ أُراجع كل ما أسمع، لا على ذوقي، بل على الدليل.وكلما سقطتُ، رفعتني آية، أو أثبتتني سنة، أو هزّني قولٌ من أقوال أئمة السلف:قال الإمام أحمد بن حنبل: "لا تُقلد دينك الرجال، فإنهم لن يسلموا من الخطأ، ولكن اعتمد على الدليل"وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كل من عارض قول الرسول بقول غيره، فإنه يُؤخذ من قوله ويُرد، إلا قول رسول اللّٰه ﷺ"

وتأملتُ قول اللّٰه عز وجل: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 3]

وقوله:

{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...}

[النساء: 59]

حينها عرفتُ: لا مكان لهواي في شرع اللّٰه.

لم يُخلق ديني على مقاسي، بل خُلقتُ أنا لأمتثل له.وما أشد ما بعد هذه المتهات الطويل، جاءت أول صدمةٍ في "باب

البدعة"...كم من عبادةٍ كنتُ أظنها تقربني إلى الله، فإذا بها تباعدني عنه؟ كم مرةً رفعتُ شعار "نيّتي طيّبة"، دون أن أسأل: هل ما أفعله مشروع؟ هل فعله رسول الله ﷺ؟ هل قاله الصحابة؟ هل مشى عليه التابعون؟ هل أفتى به الأئمة؟ حتى عرفت أن النية لا تُصحّح العمل إن خالف الدليل،فقد قال رسول الله ﷺ:

"من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردّ" [رواه مسلم]

فيا أيها القارئ...

كم منّا يعبد الله بما "وجد عليه الناس"؟

وكم منّا شقَّ طريقًا صعبًا، مليئًا بالأسئلة، فقط ليعبد الله بما جاء به رسوله ﷺ؟

هنا انتهت رحلة التشتت ما حكيتُ لك منها إلا غُصناً من شجرة. لكن بعد أن تفتّحت عيناي على نور الدليل، علمتُ أن عليّ أن أبدأ من الجذور: ما معنى أركان الإسلام التي كنتُ أرددها منذ صغري دون فهم؟ ما معنى أن أقول: "لا إله إلا الله"، وأنا لا أعرف شروطها؟ ما معنى القرآن الذي أحفظه؟ هل حفظتُه لأتفاخر؟ أم لأتدبّره وأطبّقه؟ الآن فقط بدأت رحلتي الحقيقية في طلب العلم، لا لأتعلّم فحسب، بل لأحيا بهِ .

مقدمة قبل الدخول إلى باب العقيدة:

ما ستقرؤه في هذه الصفحات، ليس إلا قبسًا يسيرًا مما حفظته وتعلّمته، وسمعته من أفواه العلماء والمشايخ – جزاهم الله عني خير الجزاء – قد بذلت جهدي في صياغته لك بأسلوب مبسّط، يلتمس الوضوح، ويبتغي القرب من قلبك وعقلك.

فهذا الباب – باب العقيدة – هو أصل الدين، ومفتاح النجاة، وأول ما يُبنى عليه الإيمان، فإياك أن تظن أن ما بين يديك يغنيك عن الرجوع لأهل العلم، بل أرجوك أن تعود إلى دروسهم، وتُكرر السماع، وتُكثر السؤال، فوالله ما يؤخذ هذا العلم عن مثلي، وإنما يُؤخذ عن أهله الربانيين.

هذه الكلمات التي خطّها قلمي ما هي إلا خطوة أولى، تمهّد لك طريقٍ الفهم، وتُيسّر لك بعض الأساسيات، فما كتبتها إلا محبةً للخير، ورغبةً أن تُعينك في بدايتك.

وإن أخطأت أو زللت، فإني أستغفر الله وأتوب إليه، وأسأله أن لا يجعل فيما كتبت إلا نفعًا، وأن يغفر لي زللي، ويتقبّل مني، ويزيدني علمًا وبصيرةً وهُدى

___ العقيدة ___

لماذا العقيدة أولًا؟

لأن النجاة ليست في كثرة العمل، بل في صوابه وصدق وجهته. وهل يُقبل عملٌ بلا إيمان؟

وهل يُبنى بيتٌ بلا أساس؟

حين يريد العبد النجاة، فعليه أن يتعلم الحق أولًا.

أن يعرف من يعبد، ولماذا يعبده، وكيف يعبده. أن يثبت قدمه على صراط لا اعوجاج فيه.

وهذا هو العلم بالعقيدة.

فهي أعظم كلمة نزل بها وحي، وأعظم أصل دعت له جميع الرسل، بلا استثناء، كما قال الله تعالى:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ} [النحل:36]

وهي أول ما يُدعى إليه الناس، كما قال النبي ﷺ حين بعث معاذًا:

«فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله»متفق عليه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

"الدعوة إلى الله تبدأ بتصحيح التوحيد، لأنه أصل الدين، وما بُني على غير أصل فمصيره الانهيار."

ولذلك كانت "لا إله إلا الله" هي أول أركان الإسلام، وأصل دين الإسلام، بل هي الإسلام كله في جملة، تتفرع عنها سائر الأوامر والنواهي.فالعقيدة ليست بابًا من أبواب الدين، بل هي أساسه الذي تُبنى عليه الأبواب كلها. فمن لم يعرف الله، ولم يوحده، فأنّى له أن يصلي له؟ أو يصوم لأجله؟ أو يبتغي رضاه؟!

ولهذا نبدأ من هنا.

معنى لا إله إلا الله

فليست مجرد كلمة تُقال باللسان، بل هي أصل الدين، وهي أول واجب على العباد، وهي مفتاح الجنة، وهي العهد بين العبد وربه، وهي أعظم كلمة قالها الأولون والآخرون.

معناها: لا معبودَ حقٌّ إلا الله.

ففيها نفي لكل ما يُعبد من دون الله، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له.

قال تعالى:

"فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ" [محمد:19]

فبدأ الله بالعلم قبل القول والعمل، فالعقيدة لا تقوم على الجهل بل على علمٍ ويقين.

وهي ركنان: نفي وإثبات

نفي: "لا إله" نفيٌ لجميع الآلهة الباطلة، من شجر، وحجر،

وقبور، وأولياء، وأهواء...أي نفي كل ما يُعبد من دون الله، وهنا يدخل الطاغوت. (الطاغوت سأتحدث عنه لاحقًا)

إثبات: "إلا الله" : إثباتٌ أن الله وحده المستحق للعبادة، بلا شريك ولا وسيط.

قال الله تعالى:

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" [الأنبياء:25]

فهذه دعوة جميع الأنبياء: عبادة الله وحده

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله

"تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله: أن لا يُعبد إلا الله، وأن لا يُحب إلا الله، ولا يُخشى إلا الله..."(الفتاوى 10/252)

وقال الإمام ابن القيم

"لا إله إلا الله، كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وفُطرت عليها جميع المخلوقات، ولأجلها خُلقت الخليقة، وبها أُرسلت الرسل، وأنزلت الكتب....." (المدارج 3/449)

قال النبي ﷺ:

بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله....."

(رواه البخاري ومسلم)

فهى أساس كل الأركان، فلا تُقبل صلاة ولا صيام ولا زكاة إلا بها.

ليست قولًا فقط: قال الله عن المنافقين:

"إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

إِنّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ"

[المنافقون:1]

فقالوها، ولكن ما نفعهم قولهم، لأنهم لم يصدقوها بقلوبهم،

ولم يعملوا بمقتضاها.

نرجع لطاغوت فما هو الطاغوت؟

الطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

والدليل:قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ

الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[البقرة: 256]

"العروة الوثقى هي لا إله إلا الله."

فالآية تدل على أنه لا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت.

أنواع الطواغيت خمسة كما بيّن أهل العلم، وهم كل من تجاوز

به الحد من معبود أو متبوع أو مطاع.

أنواع الطواغيت الخمسة:

اولًا: الشيطان

وهو رأس الطواغيت، الذي يأمر الناس بالكفر والمعاصي.

الدليل:

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 169)

ثانيًا: من يُعبد من دون الله وهو راضٍ

كمن يدّعي الألوهية أو يرضى أن يُعبد من دون الله، مثل فرعون. الدليل:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (سورة القصص: 38)

أما من عُبد وهو غير راضٍ كعيسى عليه السلام، فليس بطاغوت.

ثالثًا: من دعا الناس إلى عبادة نفسه

كمن يدّعي أنه المهدي أو إمام يجب طاعته طاعة عمياء، أو يقول للناس إنه الواسطة بينهم وبين الله. الدليل:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (سورة الأحقاف: 5)

رابعًا : من حكم بغير ما أنزل الله

سواء بتحكيم القوانين الوضعية أو رفض حكم الله.

الدليل:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة: 44)

بشرط أن يعتقد جواز هذا الحكم أو يرفض تحكيم شرع الله.

خامسًا: من ادّعى علم الغيب

كالمنجمين، الكهنة، قارئي الفنجان، الأبراج قال تعالى

﴿قُلْ مَنْ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(سورة النمل: 65)

القاعدة من هذا أن :

كل طاغوت يجب الكفر به والبراءة منه، فمن لم يكفر بالطاغوت لا يصح توحيده، لقوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

أقسام التوحيد

يقسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام، استقراءً من نصوص الكتاب والسنة وليس من العقول

توحيد الربوبية:

معناه: إفراد الله بأفعاله: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والتدبير، والملك.

يعني: نعتقد أن الله وحده هو الذي خلقنا ويرزقنا ويحيينا ويميتنا ويُدبّر كل شيء في الكون

الدليل:{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: 62]

{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} [سبأ: 24]

هذا النوع من التوحيد كانت تُقرّ به قريش، لكن لم يُدخلهم الإسلام، لأنهم أشركوا في العبادة

توحيد الألوهية (توحيد العبادة):

معناه: إفراد الله وحده بالعبادة، فلا يُعبد غيره لا نبي ولا ولي ولا صنم ولا قبر.

أي: لا نصلي إلا لله، لا نسجد إلا له، لا ندعو إلا هو، لا نذبح ولا ننذر ولا نستغيث إلا له الدليل:

{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء: 23]

و {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]

هذا هو التوحيد الذي لأجله أُرسلت الرسل، وهو الذي وقع فيه

الخلاف بين الأنبياء وأقوامهم.

توحيد الأسماء والصفات:

معناه: إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تشبيه(تجسيم)

يعني: نؤمن أن لله صفات مثل: العلم، السمع، البصر، الرحمة، العلو نثبتها كما جاءت، بلا زيادة ولا نفي وكما تليق بجلاله الدليل:

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: 11]

بعد ما شرحنا أقسام التوحيد، ننتقل الآن إلى للشروط

شروط "لا إله إلا الله"

هذه الكلمة العظيمة ما تدخل الإنسان في الإسلام إلا بتحقيق شروطها، وهي سبعة.

مأخوذة من الكتاب والسنة، بفهم الصحابة وأهل السلف

أولا: العلم المنافي للجهل

معناه: أن تعرف معناها معرفةً صحيحة:"لا معبود بحق إلا الله". الدليل:

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: 19]

ما قال "قل"، بل قال "فاعلم" أي لابد من فهم وعلم.

تنبيه: من يقولها بلسانه دون أن يفهم معناها اي يعني ما تنفعه!

ثانيًا: اليقين المنافي للشك

معناه: أن توقن بها بقلبك، ما يكون عندك شك إنها الحق.

الدليل: قال ﷺ:

«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللّٰه... موقنًا بها قلبه، إلا حرّمه اللّٰه على النار» (رواه مسلم)

تنبيه:الذي يشك في وجود اللّٰه، أو في قدرته، أو في ألوهيته اي يعني ليس موحِّدًا.

ثالثًا: القبول المنافي للرد

معناه: تقبل هذه الكلمة بكل قلبك، وتقبل ما تدل عليه من التوحيد، وتترك الشرك. الدليل:

{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}

[الصافات: 35]

قريش كانت تفهم معناها، لكن رفضتها لأن معناها ترك عبادة الأصنام.

رابعًا: الانقياد المنافي للترك

معناه:أن تنقاد لأوامر اللّٰه، وتطبقها بجوارحك: تصلي، تتحجب، تترك الحرام، تطبق أوامر الدين.

الدليل:

{وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} [الزمر: 54]

من يقول لا إله إلا الله ولا يطبق شيئًا من أوامر الله اي يعني ما انقاد!

خامسًا: الصدق المنافي للكذب

معناه: تقولها بلسانك وأنت صادق، فلا تكون منافق تقولها بلسانك لكن قلبك غير مؤمن بها.

الدليل: قال ﷺ:

«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، صادقًا من قلبه، إلا حرّمه الله على النار» (رواه البخاري)

المنافقون قالوها، لكن كذبوا، فما نفعهم ذلك.

سادساً: الإخلاص المنافي للشرك

معناه: أن تقولها وتعبد الله وحده، لا رياء، لا شرك، لا تصرف عبادة لغيره، الدليل:

{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: 3]

من يصلي أو يحج أو يذبح لغير الله اي يعني ما أخلص.

سابعًا: المحبة المنافية للبغض

معناه: أن تحب الله، وتحب هذه الكلمة، وتحب من قالها وعمل بها، وتبغض الشرك وأهله.

الدليل:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ} [البقرة: 165]

من يحب الشرك والمشركين ويبغض التوحيد اى يعني ما

دخل في الإسلام.

فشروط لا إله إلا الله جمعها العلماء في بيت

العلمُ واليقينُ والقبولُ

والانقيادُ فادرِ ما أقولُ

والصدقُ والإخلاصُ والمحبة

وفقك الله لما أحبَّه.

قبل أن تترك صلاة واحدة، تذكّر أن أول ما تُحاسَب عليه يوم القيامة هو الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عملك، وإن فسدت فسد سائر عملك.

قال الله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4-5]

ليس الويل هنا لمن تركها فقط، بل حتى لمن تهاون وأجّل وأدّاها بلا قلب ولا خشوع.

وتأمل قوله سبحانه :

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا﴾ [مريم: 59]

أما النبي ﷺ فقال:

"العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"

[رواه أحمد والترمذي]،

فجعل تركها نقضًا لعهد الإسلام، وخروجًا من جماعة المؤمنين.

فيا من تؤجل الصلاة من أجل عملك، من أجل دراستك، من أجل هاتفك...

قف مع نفسك لحظة: من منحك العمل؟ من أعطاك العلم؟ من أمدّك بالحياة والنَّفَس؟ أليس هو الله؟

كيف تجعل ما وهبه الله حجة لترك ما أمر به الله؟!

إن كل سجدة تفوتك، لن تستطيع أن تعوضها يوم القيامة ولو سجدت ألف سنة، فلكل وقت صلاة باب، إذا أغلق لم يُفتح حتى تلقى الله.

وإذا جاءك ملك الموت، لن ينظر إلى شهادتك الجامعية، ولا إلى بنكك الذي ملأته بالأموال، بل أول ما يُسأل عنه:

"هل كنت تقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم؟"

فاحذر أن تُنادى يوم القيامة: أين الذين كانوا يتثاقلون عن الصلاة؟

فلا تقوم إلا وأنت في صفوف الهالكين.

فترك الصلاة ليس ذنبًا عابرًا، بل هو من أعظم الكبائر، بل هو الحدّ الفاصل بين الإيمان والكفر.

قال الله تعالى:

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 11]

فجعل إقامة الصلاة شرطًا للدخول في جماعة المؤمنين.

وفي حديث آخر قال ﷺ:

"بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة" [رواه مسلم].

وهذا نص صريح على أن تركها نقض لعهد الإسلام.

قال الإمام أحمد رحمه الله: من ترك الصلاة عمدًا حتى يخرج وقتها، فهو كافر كفرًا أكبر، يخرج من الملة.

واعلم أن الله تعالى جمع لعباده بين الوعد والوعيد، حتى لا يركنوا إلى الأماني الكاذبة ولا يقنطوا من رحمته، فقال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50]

فهو غفور رحيم لمن أطاعه وتاب إليه، وهو شديد العقاب لمن أعرض وعصاه، فإياك أن تغتر بسعة رحمته وأنت مصرّ على ترك الصلاة، فإن رحمته قريب من المحسنين، وعذابه أليم للعاصين.

تأمل: إذا كان الله لا يقبل من الكافر عملًا بلا شهادة أن لا إله إلا الله، فهو كذلك لا يقبل من المسلم عملًا بلا صلاة، لأنها عمود الدين، وما سواه من الأعمال إنما يبنى عليها.

ومن مات وهو لا يصلي، فقد عرّض نفسه لسوء الخاتمة والله المستعان.

أثرها

ليست عادةً تُمارس، ولا طقسًا موروثًا، بل هي عهد وميثاق بينك وبين خالقك، هي النداء الذي يتكرّر في يومك خمس مرات، يذكّرك أن لك ربًا يدعوك إلى حضرته، وأن روحك لا تحيا إلا بالوقوف بين يديه.

هي وصية الله لنبيّه ﷺ في أعظم ليلة شهدتها الأرض والسماء، ليلة المعراج، حين فُرضت الصلاة فوق السموات العُلى، بلا واسطة، بلا رسول ولا جبريل أمرٌ مباشر من الله لعبده. فهل يُعقل أن يكون الأمر بهذه القدسية، ثم نؤجله من أجل عمل أو لهو أو نوم أو دنيا خلقنا الله بها لنعبده؟!

تذكر أن أول ما يثبت في الأرض من أركان الدين بعد التوحيد.

قال الله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]

هي أول ما يسألك الله عنه يوم القيامة:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

[الماعون: 4-5]

هي التي تحفظ قلبك من التلوث بالذنوب، وتطهّر روحك من المعاصي:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:45]

وهي مفتاح الفرج، ومصدر العون، وزاد الطريق

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45]

ومن تركها فقد عرّض نفسه لغضب الله وعذابه:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا﴾ [مريم: 59]

وغَيّا تعني على حسب تفسير العلماء

فقال ابن عباس: الغيّ وادٍ في جهنم، بعيد القعر، شديد الحرارة، طعام أهله الزقوم وشرابهم الحميم.

مجاهد: الغيّ هو الخسران والشرّ.

الطبري: هو العقاب الشديد في النار بسبب الضلال عن الحق.

القرطبي: هو وادٍ في جهنم أُعدّ لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات.

فهي ميزانك في الدنيا والآخرة، إن أقمتها، أقمت دينك، وإن ضيّعتها، فقد ضيّعت دينك.

واعلم – رحمك الله – أن الصلاة ليست حركاتٍ تُؤدَّى، ولا ألفاظًا تُتلى بلا حضور قلب، بل هي أعظم أركان الدين بعد الشهادتين، وعهدٌ متجدد بين العبد وربه، لا تُقبل إلا إذا أقيمت على ما شرعه الله ورسوله ﷺ.

فلها شروط إن غابت بطلت، وأركان إن سقط منها ركن هُدمت، وواجبات إن تُركت عمدًا كان ذلك جرأةً على أمر الله.

قال رسول الله ﷺ:

«صلوا كما رأيتموني أصلي» (رواه البخاري)

فجعل الاقتداء بصلاته ﷺ واجبًا، وأبطل كل اجتهاد أو عادة

تخالف هديه.

فتأمل - يا عبد الله - ما جدوى صلاةٍ لا يقبلها الله؟

وأيّ رجاء يبقى لمن يردّ عمله عند باب الملك؟!

خذ من وقتك - ولو القليل - لتتعلّم، فإنك إن وقفت بين يدي الله ولا تعرف من صلاتك إلا صورتها، ثم اكتشفت بعد سنوات أن فيها أخطاءً تُبطلها أو تنقص أجرها، فكم من الصلوات ضاعت منك بلا قبول وأنت لا تشعر؟!

فبسبب ماذا؟!

بسبب التكاسل عن العلم ولو باليوم مقدار ساعة؟

فبادر قبل أن تُطوى صحيفتك وأنت مقصر، واطلب العلم من أهله، فالله لا يُعبد إلا بما شرع، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا صوابًا.

___ "الزكاة... طهرة المال وزكاة النفس"___

الزكاة عبادة عظيمة قرنها سبحانه بالصلاة في أكثر من ثلاثين موضعًا من كتابه، ليعلم العبد أن صلاح دينه لا يكتمل إلا بها. هي طهارة للقلب قبل أن تكون طهارة للمال، ونماء في البركة قبل أن تكون نقصًا في المال. قال الله تعالى:
"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" [التوبة: 103]
فإخراجها يمسح أدران الشح من النفس ويغرس فيها حب العطاء.
هي حق فرضه الله على كل مسلم بلغ ماله النصاب ودار عليه الحول، لتُؤخذ من الأغنياء وتُردّ على الفقراء، فتسد جوعهم، وتكسو عريهم، وتغنيهم عن ذل السؤال، فتشيع المحبة والرحمة بين الناس. قال رسول الله ﷺ:
«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» (متفق عليه)،
فجعلها مع أعمدة الدين الكبرى.

- **أصناف الزكاة:**

تجب الزكاة في أربعة أصناف هي:
الأول: الأثمان: الذهب والفضة.
الثاني: عروض التجارة.

الثالث: الخارج من الأرض: الحبوب، الثمار.

الرابع: الأنعام: الإبل، البقر، الغنم.

- **شروط الوجوب: لا تجب إلا بخمسة شروط وهي:**

الأول: الإسلام.

الثاني: الحرية.

الثالث: تمام الملك.

الرابع: بلوغ النصاب.

الخامس: مضي الحول – أي سنة كاملة – إلا في الخارج من الأرض.

- **أهل الزكاة:**

١- الفقراء: وهم من لا يجدون ما يكفيهم.

٢- المساكين: وهم الذين يجدون بعض ما يكفيهم.

٣- العاملون عليها.

٤- المؤلفة قلوبهم.

٥- في الرقاب.

٦- الغارمون.

٧- في سبيل الله.

٨- ابن السبيل.

يُعطى الفقير والمسكين من الزكاة بقدر ما يحتاج إليه

لكن من بخل بها أو منعها فقد تعرّض لوعيد الله، قال تعالى:

"وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ" [التوبة: 34-35].

فيا عبد الله، لا تجعل الشيطان يسرق منك هذه الطاعة، ولا تؤخرها بحجة الانشغال، فالمال الذي بخلت به اليوم، ستراه يوم القيامة جمرة توضع على جبينك وجنبك وظهرك، إلا أن يغفر الله لك. وبالمقابل، ما قدمته اليوم بين يديك ستجده نورًا وظلًا وثوابًا عند الله، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما زكاة الفطر:

صدقة واجبة على كل مسلم، تُخرج طُهرةً للصائم من اللغو والرفث، وإطعامًا للمساكين. سُمِّيت "زكاة الفطر" لأنها تجب بالفطر من رمضان.

فحكمها: على كل مسلم، ذكر أو أنثى، صغير أو كبير، حر أو عبد، يملك قوت يومه وليلته.

وقت وجوبها:

تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان.

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين.

مقدارها:

صاع نبوي من قوت البلد (حوالي2.5 – 3 كجم تقريبًا).

من الأطعمة المعتادة: التمر، البر، الأرز، الشعير.

أما صدقة التطوع:

هي ما يخرجه المسلم من ماله أو طعامه أو نفعه، تقرّبًا إلى الله تعالى، من غير إلزام شرعي، بل باختياره ورغبته.

حكمها

سُنّة مؤكدة، حث عليها القرآن والسنة، وهي من أعظم القربات. قال تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 271]

دليل على فضل الصدقة علنًا وسرّا، وأن إخفاءها أفضل.

وقال تعالى :

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: 261]

تشبيه بليغ لبيان عظم الأجر في الصدقة.

وقال ﷺ:

«الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»

[رواه الترمذي وصححه الألباني]

وقال ﷺ:«كل معروف صدقة»

[رواه البخاري ومسلم]

دليل على أن الصدقة لا تقتصر على المال، بل تشمل كل عمل خير.

ففي فضلها

سبب لمغفرة الذنوب، وقاية من النار، جلب البركة ودفع البلاء، إدخال السرور على قلوب المحتاجين.

ونصيحتي لك اجعل الصدقة نبضًا دائمًا في حياتك، لا تؤخرها ولا تحقرها فدرهم تُخفيه بيمينك أعظم عند الله من كنوز تُنفق رياءً.

بالصدقة تُطفأ نار الذنوب، وتُفتح أبواب الرحمة، ويبارك الله في مالك وأهلك وعافيتك. لا تظنّ أن القليل لا يُجدي، فإن ربك جلّ جلاله يشكر القليل ويضاعفه أضعافًا كثيرة، حتى يلقاك يوم القيامة وهو جبال من الحسنات.

فليكن لك سرّ بينك وبين الله، درهم يداوي قلبك، ولُقمة تطفئ جوع فقير، وقطرة ماء تسقي ظمأ العطاش، لعلّها تكون لك نجاةً حين لا ينفع مالٌ ولا بنون."

الصوم

هو انقياد كامل لأمر الله، وامتحانٌ لصدق الإيمان، ومدرسة يتربّى فيها القلب على الخشية، وتلين فيها الجوارح لذكر الله، وتنطفئ فيها نار الشهوات تحت سلطان المراقبة.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]،

فليست الغاية جوع البطن وعطش الحلق، بل جوع الشهوات وعطش القلوب إلى رضا الله.

هو عبادة سرّية، لا يطّلع على حقيقتها إلا الله، فلا يراك الناس إن أفطرت خفية، لكن الله يراك. ولهذا قال في الحديث القدسي:

«كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»

(متفق عليه)

فجعل جزاءه عنده وحده، بغير حدّ ولا عدّ.

في الصوم تتعلّم أن تترك الحلال امتثالًا، فكيف بالحرام اجتنابًا؟ تكبح نفسك وهي قادرة، وتقدّم رضا الله على هوى النفس، وتدرك أن لحظة طاعة قد تفتح لك أبواب الخلود.

أما من أضاع أيامه في اللهو، وأفطر متعمدًا بلا عذر، فقد باع

نصيبه من الخير، وعرّض نفسه لوعيد شديد. وكيف يجرؤ عبد على كسر أمر الله، وهو يعلم أنه قد لا يدرك رمضان آخر؟!

قال ﷺ:

«إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم» (متفق عليه)،

فهل ترضى أن يُغلق دونك هذا الباب ؟

والصوم فرضٌ على كل مسلم بالغ عاقل قادر، ويجب إتمامه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، مع ترك كل ما حرّمه الله من قول أو فعل. ومن رُخّص لهم الفطر: المريض الذي يضرّه الصوم، والمسافر، والحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما، والشيخ الكبير الذي يشق عليه الصوم، وهؤلاء منهم من يقضي بعد زوال العذر، ومنهم من يُطعم عن كل يوم مسكينًا.

ومبطلات الصوم كثيرة، منها:

الأكل والشرب عمدًا، والجماع، وتعمد القيء، وما كان في معناها. ومن أفطر عمدًا بغير عذر فقد ارتكب كبيرة عظيمة، وعليه التوبة الصادقة، وقضاء اليوم، وبعض الحالات تلزمه الكفارة المغلّظة.

فيا من أدركك رمضان، اعلم أن هذه فرصة لا تتكرر إلا بعد عام، وربما لا تتكرر أبدًا.

فأخلص النية، وأحسن الصيام والقيام، وكن من أولياء الله

الذين إذا دعوا أَجيبوا، وإذا استغفروا غُفر لهم، وإذا ختموا صومهم نالوا العتق من النيران.

الحج هجرة قلبية قبل أن تكون جسدية، وانتقال من هموم الدنيا إلى الله، حيث لا فارق بين الغني والفقير، والعربي والأعجمي، فلا يبقى إلا لباس الإحرام، وكلمة التوحيد، والخضوع لرب العالمين.

هو الركن الخامس من أركان الإسلام، فرضه الله على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع، مرة واحدة في العمر، رحمةً منه وتخفيفًا، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97].

وفي الحديث المتفق عليه قال ﷺ:

«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

الحج موسم تطهير شامل، تعود منه كيوم ولدتك أمك إذا أديته كما أمر الله ورسوله، قال ﷺ:

«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»

(رواه البخاري ومسلم).

في الحج تتجرد من ثيابك وزينتك، فتقف على عرفة بين ملايين البشر، ترفع يديك وتبكي، وكأنك في صعيد المحشر،

تنتظر رحمة الله ومغفرته. تطوف بالبيت، وتسعى بين الصفا والمروة كما سعت هاجر تبحث عن الماء، فتتذكر أن الفرج بعد الصبر، وأن الله لا يضيع عبده.

ولكن، ليس كل من ذهب إلى الحج حجّه مقبول، إنما يقبله الله ممن أخلص النية، واتّبع السنة، وابتعد عن الجدال والفسوق والرفث، كما قال تعالى:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197].

فيا عبد الله، إن استطعت إلى الحج سبيلًا، فلا تؤجله، فإنك لا تدري هل تعود إليه أم يحول الموت بينك وبينه. فاجعل حجك خالصًا لله، وكن من الوفد الذين يباهي الله بهم ملائكته، وأبشر بمغفرة تامة وفرج قريب.

___ أركان الإيمان... عقدٌ لا ينفصم___

اعلم – رحمني اللّٰه وإياك – أن الإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجَنان، وعملٌ بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

هو يقين يسكن القلب فيملؤه نورًا، وتترجمه الجوارح عبادة وخشوعًا، ويشهد له السلوك في السر والعلن. إيمان ثابت لا تهزه الشبهات، ولا تزعزعه الفتن، ولا يضعف أمام زخرف القول، ولا ينخدع بمظاهر المضلين وأهل الأهواء.

هو عهد مع اللّٰه، ويقين لا يتبدل مع تقلّب الأحوال، يثمر التوحيد الخالص، ويحفظ الصلاة قائمة في وقتها، ويجعل سائر أركان الإسلام حيّة في حياتك.

وقد لخّص النبي ﷺ حقيقة الإيمان حين سأله جبريل عليه السلام فقال:

«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» (رواه مسلم).

الإيمان بالله: أن توقن بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فتعبده وحده لا شريك له، محبة وخوفًا ورجاءً، وتفرده بكل أنواع العبادة.

الإيمان بملائكته: أن تعلم أن لله عبادًا مكرّمين، لا يعصون اللّٰه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، جعلهم اللّٰه رسلًا بينه وبين خلقه، فمنهم من يكتب الأعمال، ومنهم من يقبض الأرواح،

ومنهم من ينفخ في الصور يوم القيامة.

الإيمان بكتبه: أن تصدّق بما أنزله الله من وحي وهدى على أنبيائه، فتؤمن بالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، وتعلم أن القرآن آخرها وأعظمها، محفوظ من التحريف، فيه تبيان لكل شيء.

الإيمان برسله: أن تؤمن أن الله أرسل في كل أمة رسولًا يدعوهم لعبادته، وتصدق بهم جميعًا من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ، وأن شريعتهم جميعًا حق، وإن كان الإسلام قد نسخ ما قبله.

الإيمان باليوم الآخر: أن توقن بيوم القيامة، حين يبعث الله الناس من قبورهم، فيقفون بين يديه للحساب والجزاء، فإما جنة وإما نار، وتؤمن بما بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه، وبأشراط الساعة وكل ما صحّ عن النبي ﷺ فيه.

الإيمان بالقدر خيره وشره: أن تؤمن أن كل ما كان أو سيكون قد كتبه الله في اللوح المحفوظ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن أفعال العباد واقعة بقدرة الله وعلمه وحكمته، مع إثبات مسؤولية الإنسان عن عمله واختياره.

هذه الأركان الستة ليست معلومات تُتلى ولا محفوظات تُردد، بل هي حياة كاملة تعيشها، وعهد لا ينقض حتى تلقى الله، فمن تمسك بها عاش مطمئنًا، ومن أهملها عاش في ضياع،

وكانت عاقبته الخسران.

فثبّت قلبك على الإيمان، وجدد العهد مع الله كل يوم، واحذر أن يتسلل الشك إلى يقينك أو الهوى إلى قلبك، فإنما الإيمان أثمن ما تملك، ومن ضيّعه فقد ضيّع نفسه.

فهو نور يُغرس في القلب، يزهر بالطاعة، ويذبل بالمعصية، ويتقوّى بالذكر واليقين، ويخور بالغفلة والهوى.

هو شجرة باسقة، جذورها في التوحيد، وساقها في الإخلاص، وأغصانها في الأعمال الصالحة، وثمرها طمأنينة في الدنيا وفوز في الآخرة.

قال ربك جل جلاله:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]،

فآيات الله إذا وقعت في قلب حيّ، أنبتت فيه يقينًا جديدًا، ورسّخت جذور الطاعة، وجعلت العبد يرى الدنيا على حقيقتها، والآخرة على قربها.

وزيادة الإيمان لا تُنال بالتمني، بل بمجاهدة النفس على الطاعة، وإبعادها عن المعصية، وسقيها بماء الذكر، وتطهيرها من الغفلة. فكما أن الجسد لا يحيا بلا طعام، فإن القلب لا يحيا بلا إيمان، وإن الجسد إذا جاع ضعف، فإن القلب إذا جاع من الطاعة مات. والإيمان إذا قوي، صار حارسًا لك من الفتن، ودرعًا من الشهوات، ومصباحًا ينير لك الطريق وسط ظلمات

الشبهات. وإذا ضعف، صار صاحبه فريسةَ لكل وسواس، وعبدًا لكل نزوة.

اجعل لنفسك نصيبًا كل يوم من عمل يرفع إيمانك؛ ركعات في جوف الليل، دمعة في الخلوة، صدقة خفية، ذكر لله يحيي الفؤاد، وتلاوة لكتاب الله تقرّبك من مولاه. واحذر أن تلقى الله إلا وقلبك عامرٌ بالإيمان، فإنها أغلى ما تحمل من هذه الدنيا، ومن فقده فقد كل شيء.

وأقول لك ايضًا:

أَلا هُبِّي بِقَلبِكَ نحوَ مَولاهُ * ودَعْ عنكَ لهوًا يَستَميلُ هَواهُ**

أَعبَدًا خُلِقتَ لِطاعةِ الخالِقِ * فَـمَا بالُكَ عن حُدودِهِ نَاسَاهُ؟**

وأَنفاسُكَ مَحصيّاتٌ عَدَّهَا * كَتَبَتها الملائكُ لا سَفَهًا رَآهُ**

أتَرجُو جِنانًا نَفَسُ الخَلقِ غايتُهَا * وتَسعى لِشَهواتِكَ مُتَّبِعًا خُطَاهُ؟**

هَيهاتَ! لا يُدرَكُ الفَردوسُ مُتهاونٌ * ولا يُنالُ النَّعيمُ إلا مَن رَضَاهُ**

لَو عَلِمتَ ما في الجِنانِ مِن النَّعيمِ * لَظَلِلتَ ساجدًا دهركَ ما فَتَرَت جِباهُ**

الشبهات ليست مجرد مسائل خلافية أو أفكار جانبية، بل هي ألغام مزروعة في طريق الإيمان، تنفجر في قلب صاحبها قبل أن يدرك أنه قد ابتعد عن الصراط المستقيم. أخطر ما فيها أنها تتزيّن بثوب الحق، فتدخل على العقول من باب الحجة، وعلى القلوب من باب العاطفة، حتى تَلبس على الجاهل دينه، فيرى النور ظلامًا والظلام نورًا.

اللّٰه جل جلاله حذّر من هذا الداء فقال:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42].

الشبهات لا يعيش عليها إلا ضعيف البصيرة الذي لم يتسلح بالعلم، أو من أعرض عن نصوص الوحيين لينقاد وراء شيوخ الأهواء. هؤلاء المضللون، من شياطين الإنس والجن، يجيدون الصياغة والتزيين، فيقدمون الباطل في إناء من ذهب، ويغلفون السم بالعسل، حتى إذا تذوقه العبد، فسد قلبه وهو يحسب أنه مهتدٍ.

الشبهة في باب العقيدة

انظر كيف أتت الجهمية والمعتزلة ومن ورث طريقتهم، فنفوا عن اللّٰه ما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من أسماء وصفات لله، بحجة التنزيه!

قال الله تعالى:

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]،

فيقولون: "استولى"، وكأن الله لم يحسن البيان!

قال الإمام مالك – رحمه الله –:

"الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

التنزيه الحق ليس في تحريف النصوص ولا في تعطيل الصفات، بل في إثبات ما أثبته الله بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولاتجسيم.

الشبهة في باب التوحيد والعبادة

من الناس من يقع في الشرك الأكبر وهو يظن أنه في غاية المحبة والوفاء، فيستغيث بالأولياء والأنبياء ويدعوهم في الشدائد، بزعم أنهم شفعاء عند الله، غافلًا عن أن هذا هو عين شرك المشركين الأولين. قال الله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18].

سمّى الله هذا عبادة لغيره، ووصمه بالشرك، مهما تغيرت أسماؤه أو تزينت ألفاظه.

الشبهة في باب الحلال والحرام

كم من حرام صار في ألسنة المضلين "مشروعًا"، وكم من فاحشة صارت "حرية شخصية"!

يبيحون الربا باسم "الفوائد البنكية" وكأن حذر النبي ﷺ على آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه قد رُفعت، ويزينون التبرج باسم "حقوق المرأة"، حتى صار المنكر معروفًا والمعروف منكرًا.

النبي ﷺ قال:

«الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثيرًا من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام .....»

(متفق عليه).

فالذي لا يبتعد عن الشبهة، يسهل عليه أن يزل في الحرام.

الاستبراء للعرض سأعطيك مثال واقعي على ذلك:

امرأة أرضعت طفلة ليست ابنتها، ولكن لم ترضعها إلا مرتين فقط... كبرت هذه الطفلة، فأراد ابن المرأة التي أرضعتها أن يتزوجها. هنا نجد اختلاف العلماء:

عند الإمام أحمد: المحرمية لا تثبت إلا بخمس رضعات مشبعات.

عند الحنفية: تثبت حتى برضعة واحدة.

إذن المسألة هنا شبهة؛ فبحسب مذهب الحنفية (وهو مذهب معتبر) هذا الزواج حرام لأنه يعتبرها أخته من الرضاع، بينما عند الإمام أحمد الزواج حلال لأنه لم يحصل خمس رضعات.

فماذا يفعل من أراد أن يستبرئ لدينه وعرضه؟

ينصح الشاب أن يترك الزواج بها، خروجًا من الخلاف، وابتعادًا عن موضع الشبهة.

وتُنصح الفتاة أن تحتشم أمام هذا الشاب، وألا تتعامل معه كمَحرم، لأن هناك قولًا معتبرًا يرى أنه أجنبي عنها.

بهذا يكون قد استبرأ لدينه باجتناب ما قد يكون محرمًا عند بعض العلماء، واستبرأ لعرضه حتى لا يطعن فيه طاعن أو يتهمه متهم.

الشبهة في باب السنة والوحي

من أخطر الشبهات دعوى "الاكتفاء بالقرآن" ورفض السنة النبوية، وكأن القرآن نزل بغير مفسر ولا شارح!

قال الله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: 7]، فكيف يأخذ بالقرآن ويترك بيان الرسول ﷺ الذي أوحى الله إليه؟

هذا الباب وحده لو فُتح، لسقطت الصلاة والزكاة والصيام والحج، لأن تفاصيلها أغلبها في السنة.

فإن خطورة الشبهات ليست فكرة عابرة أو رأيًا يمكن تجاهله، بل هي مرض قلبي مزمن، يفتك بالبصيرة قبل الجوارح.

الشهوة تفسد العمل، أما الشبهة فتفسد العقل والقلب معًا، حتى يصبح الإنسان لا يميز بين الحق والباطل.

صاحب الشهوة: يعرف أن ما يفعله حرام، ولو لامه الناس لم

يجد حجة، وقد يتوب إذا ذكّرته أو حذرته.

أما صاحب الشبهة: يظن نفسه على الحق، ويجادل عنه، ويستميت في الدفاع عنه، وربما دعا الناس إليه، فصار داعية إلى الباطل وهو يحسب أنه مهتد.

لهذا قال بعض السلف:

"احذروا من صاحب الشبهة؛ فإنك إن تنأ عنه بقلبك سلمت، وإن تنأ عنه بجسدك لم تسلم، وإن تنأ عنه بجسدك وقلبك سلمت من الفتنة".

فالقلب إذا دخلته الشبهة صار مثل الزجاج المكسور، لا يعود كما كان؛ لأنه أصبح يرى الأشياء مشوهة.

قال ابن القيم رحمه الله:

"القلوب إذا أُشربت الباطل صارت لا تعرف المعروف ولا تنكر المنكر".

والشبهات تنتشر أسرع من الحق لأنها توافق الأهواء، وتجد طريقها إلى النفوس عبر العاطفة أو الجهل، ولأن الباطل عادةً يكون مزينًا بالألفاظ البراقة، والحق يكون صارمًا يحتاج إلى صبر وجهاد نفس ومواجهة أهل الشبهات والبدع.

ومن أخطرها أن قد توقع في الكفر الأكبر، كالشبهة في الاستغاثة بغير الله.

وقد تؤدي إلى إنكار معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار السنة أو تحريف القرآن.

قد تبرر الكبائر والفواحش حتى تصبح مقبولة في المجتمع.

فلذلك الشبهات لا تُعالج بالجدال وحده، بل بخطوات عملية تحمي القلب وتحصنه:

اولًا: العلم الشرعي الصحيح :

التلقي من العلماء الراسخين، لا من مقاطع الإنترنت المجهولة ولا من أصحاب الأهواء.

ودراسة العقيدة على منهج السلف، لأن فهم النصوص بفهم الصحابة وأئمة الإسلام هو الحصن الأول ضد الانحراف.

وتعلم أصول الاستدلال حتى لا يخدعك من يلوّون النصوص لك.

ثانيًا: الرجوع إلى القرآن والسنة بفهم السلف :

كل شبهة تُعرض على نصوص الوحيين، فإن عارضتهما فهي باطلة مهما كانت مزخرفة. اللّٰه تعالى قال:

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59].

ثالثًا: الدعاء بالهداية والثبات :

كان النبي ﷺ يكثر أن يقول:

«يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» (رواه الترمذي).

هذا يدل على أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، وأن الثبات نعمة لا تُترك بلا طلب.

رابعًا: البعد عن مواطن الشبهة وأهلها :

لا تجلس مع صاحب بدعة أو مروج شبهة، فإن كلامه ينفذ إلى

قلبك من حيث لا تشعر.

قال بعض السلف: "القلب ضعيف والشبهة خطافة".

خامسًا: التواضع للحق وقبوله :

كثير من الناس يرد الحق لا لضعفه، ولكن لأن اعترافه به سيجعله يعترف بخطئه، فيستكبر ...

فعلاج الشبهة لا يثمر إلا في قلبٍ منصفٍ متجرد، يرى الحق فينقاد له، والباطل فيجتنبه، أما القلب المتكبر فإنه يرد الحق لأنه جاء على لسان من يخالف هواه، أو لأنه يهدم بنيانًا بناه من الأوهام. وتذكر أن الخطأ قدرٌ يجري على بني آدم كلهم، وخير الخطّائين من أقرّ بزلّته، ورجع إلى صوابه، فليس العيب أن تزل قدمك، ولكن العيب أن ترى موضع السقوط ثم تأبى أن تنهض، إصرارًا وكبرًا.

معنى البدعة

البدعة في اللغة: ما أُحدث على غير مثال سابق.

أما في الاصطلاح الشرعي: فهي كل أمر أُدخل في الدين لم يأت به كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن عليه عمل الصحابة رضي الله عنهم.

وقد أجمع العلماء على أن البدعة في الدين ضلالة، لأن الدين كامل تام، لا يحتاج إلى زيادة ولا نقصان، قال الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: 3]

أكملت لكم دينكم : يعني ليس في حاجة لشيء جديد يُضاف للتشريع. في عبادة جديدة، ولا شعيرة جديدة بعد نزول هذه لآية. كل شيء يحتاجه المسلم ليعبد الله موجود بالدين.

وأتممت عليكم نعمتي: اى نعمة الإسلام اكتملت واصبحت وافية، الله عز وجل أعطانا الدين كامل متكامل لا بينقصه شيء .

ورضيت لكم الإسلام دينًا : رضى الله الإسلام منهج للحياة، فالمسلم لا يلتفت لغيره ولا يحتاج يضيف أو يغيّر

فالنصوص الشرعية واضحة في التحذير من البدع

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم:

"إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار."

وقال:

"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور."

فهذه النصوص عامة مطلقة، تحذر من كل بدعة دون استثناء .

هل في الإسلام بدعة حسنة كما يدّعون؟

زعم بعض الناس أن هناك "بدعة حسنة"، ولكن النصوص ترد عليهم: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة".

والقاعدة أن "كل" من ألفاظ العموم، فلا يخرج من العموم شيء إلا بدليل.

وقد قال الإمام مالك رحمه الله:

"من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول:

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.

فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكون اليوم دينًا.

فالبدعة لا تُحسَّن بالعقول ولا بالنيات الطيبة، لأن الدين لا يُبنى على الأهواء، وإنما على الوحي والنية تكون في الطاعة لا بالمعصية ومخالفة السنة.

والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن العاصي يعلم أنه مذنب فيتوب، أما المبتدع فيظن أنه مطيع فلا يتوب. قال سفيان الثوري: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية."

والبدعة تميت السنن: قال بعض السلف: "ما ابتدع قوم بدعة إلا أضاعوا مثلها من السنة."

و البدعة تفرّق الأمة: لأنها تجعل الناس شيعًا وأحزابًا، كل طائفة تتمسك ببدعتها.

والبدعة ايضًا طعن في كمال الدين: إذ معناها أن الدين ناقص يحتاج لزيادة.

أنواع البدع أصبحت في :

- **الاحتفال بالمولد النبوي**

وهو أشهرها في هذا الزمان. يزعمون أنه محبة للنبي صلى الله عليه وسلم، مع أن الصحابة الذين كانوا أصدق الأمة محبة للنبي لم يفعلوا ذلك قط.

لو كان خيرًا لسبقونا إليه. قال الله تعالى:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ).

فهل الدين كان ناقصًا حتى يأتي أقوام بعد قرون ليكملوه؟!

الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج أو الهجرة أو النصف من شعبان بصلوات وأذكار وأدعية مخصوصة وعدد محدد لذكر لم يرد عنها شيء في السنة.

الذكر الجماعي بصوت واحد، أو ترديد "الله الله" أو "هو هو"، أو

الرقص والتمايل في المساجد بحجة الذكر. هذا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة.

تخصيص أيام معينة بصيام أو قيام لم يخصصها الشرع: مثل صيام أول جمعة من رجب، أو قيام ليلة النصف من شعبان بصلوات مخترعة.

- **البدع في الجنائز والقبور**

الطواف بالقبور، ومسحها، وتقبيلها، وتعليق الخِرَق عليها، وطلب الحاجات من أصحابها. وهذا من أعظم البدع الذي أوصل البعض للشرك.

إقامة المآتم بقراءة القرآن جماعة على الميت مقابل أجر، أو ما يسمى "الذكرى الأربعينية"، أو الاحتفال بسنوية الميت.

كلها بدع ما أنزل الله بها من سلطان.

وبناء القباب على القبور

- **البدع في المعاملات والعادات**

إدخال طقوس دخيلة في الأعراس والولائم والختان على أنها "مستحبة"، وهي ليست من الدين.

ما يُفعل من موالد الأولياء، والطواف حول الأضرحة، وإقامة المهرجانات باسم الدين.

قال ابن مسعود: "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم."

وقال حذيفة: "كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبدوها."

وقال عمر بن عبد العزيز: "قف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا، فما كان من هديهم فهو الهدى."

الرد على بعض شبهات المبتدعين

الشبهة الأولى: "نحن نفعل البدعة حبًا للنبي"

لو كان حب النبي صلى الله عليه وسلم يكفي، لكان الصحابة أحق الناس بذلك، ومع ذلك لم يحتفلوا بمولده.

الشبهة الثانية: "هذه بدعة حسنة"

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة"،

فهل نصدّق قول النبي أم نصدّق أهواء الناس؟

الشبهة الثالثة: "الناس كلهم يفعلونها"

الحق لا يُعرف بالكثرة، قال تعالى:

{وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله}.

وإن قالوا لك اختلفوا في ذلك

فقل لهم إذن هي شبه وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

(فمن اتقي الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)،

واكتفي فلا تُجادل لأنهم سيدخلون عليك من ابوابٍ كثيرة ويخلطون الأمور ببعضها.

وتذكر أثر البدع على الأمة

جعلت الدين مظاهر واحتفالات فارغة.

نشرت الخرافات، حتى صار الناس يطلبون المدد من الأموات

بدل الله.

فرّقت الأمة شيعًا وأحزابًا.

شغلت المسلمين بالباطل عن الحق.

فالمعيار في الدين هو الاتباع لا الابتداع. فمن أحب الله ورسوله فليتبع، قال تعالى:

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة آل عمران: 31]

فلا عَجب إذن من هَوانِ الأُمّة، ولا عَجب أن نُغزى من كلِّ فجٍّ عميق، ولا عَجب أن نذوقَ طَعمَ الذلّة والهوان.

كيف لا؟ وقد عظَّمنا البِدع حتى رفعناها فوق الرؤوس، ومحقنا السُّنن حتى غابت مَعالِمها!

وأهملنا الفرائض، متكئين على قولنا: إنَّ الله غفور رحيم...

فيا لَلغفلة! ويا لَلخذلان!

الله المستعان.

فيا طالب العلم، الزم السنة، وتمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام. لا يغرنك زخرف المبتدعين، ولا كثرة الأتباع، فإن النجاة في الاتباع، والهلاك في الابتداع.

قال صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار."

التوبة هي ولادتك من جديد، لكن إياك أن تظن أن الشيطان سيتركك لترتاح!

لقد أفلتَّ من شِباكه، وسيطاردك بكل ما يملك من مكر حتى يعيدك، فهو لا ينام عنك لحظة. واللّٰه جل جلاله حذّر من ذلك بقوله:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّ ا﴾ [فاطر: 6].

وإياك أن تظن أن مجرد قولك "تبت" يعني أنك قد أديت ما عليك، فالتوبة ليست كلمة تُقال باللسان، بل هي ندمٌ يعتصر القلب، وعملٌ صالحٌ يصدّق القول، واستقامةٌ تحفظ العهد مع اللّٰه، واستغفارٌ دائم يروي القلب بعد جفافه.

قال اللّٰه تعالى:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: 70]

فالذي يتوب ثم يعود إلى طريق الاستقامة، ليس فقط يُمحى ذنبه، بل يتحول وزره إلى أجر، وهذه كرامة لا تُعطى إلا لأهل الصدق والإخلاص .

فالاستقامة بعد التوبة ليست رفاهية ولا اختيارًا، بل هي معركة يومية، إما أن تنتصر أو تسقط.

التوبة بدون استقامة أشبه بسفينةٍ مثقوبة؛ مهما حاولت

الإبحار بها، ستغرق.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13].

فالله لم يقل: ثم ندموا أو ثم بكوا، بل قال: ثم استقاموا.

النطق بالشهادة بداية، أما الثبات عليها حتى الموت فهو الامتحان.

فلماذا يسقط بعض التائبين ؟

لأنهم لم يقطعوا الحبال التي تربطهم بالماضي بقيت الصداقة الفاسدة، والأماكن التي شهدت معاصيهم، وكأنهم يحنّون إلى القبر الذي هربوا منه. ولأنهم ظنوا أن التوبة شعور لحظي، لا مشروع عمر يحتاج إلى صبر ومجاهدة. ولأنهم ملؤوا قلوبهم بالآمال الدنيوية، ولم يملؤوها بالخوف من سوء الخاتمة ..

قال الحسن البصري رحمه الله "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل".

فالواجب أن تحصّن توبتك بأسوار منيعة مثل:

• القرآن...

اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن لا تتخلف عنه أبدًا، فإن اضطررت للانقطاع يومًا فاعوّضه في اليوم التالي. فالقرآن هو النور الذي يبدد ظلمات قلبك، والدليل الذي يقودك في

طريقك.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]

وأحفظ منه حتى ولو حفظت أو تدبرت القليل، فالله لا يضيع عمل القليل، قال ﷺ:

«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (رواه مسلم).

• اطلب العلم... الحصن المنيع ضد الانتكاس واملأ أوقات فراغك بطلب العلم الشرعي، فهو الذي يزيد إيمانك ويكشف لك مداخل الشيطان، ويملأ وقتك بما ينفعك، فلا تجد نفسك في فراغ يجرّك للمعصية من جديد.

قال النبي ﷺ:

«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» (متفق عليه).

• وتذكر قيام الليل... سلاح المؤمن في معركته مع نفسه

لا يظن أحد أن الجهاد فقط أن تمسك سلاحًا وتقاتل، بل الجهاد الأكبر أن تجاهد نفسك على ترك المعاصي، وأن تثبت أمام الفتن والشهوات، وأن تقوم بين يدي الله ذليلًا خاشعًا.

قال الله تعالى في وصف عباده الصالحين:

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[الذاريات: 17-18].

• حتى لو أذنبت مئة مرة... عد إلى الله

إياك أن يثنيك الشيطان عن العودة بحجة أنك تكرر الذنب،

فالله يحب التوابين الذين يرجعون إليه كلما زلوا، قال ﷺ:

«لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» (رواه مسلم).

• الصحبة الصالحة... مرآة دينك

المرء على دين خليله، فإن صاحب أهل الطاعة أعانوه على الاستقامة، وإن صاحب أهل المعصية جرّوه إليها.

قال ﷺ:

«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»

(رواه أبو داود والترمذي).

ابتعد عن أماكن المعصية ورفاق السوء، فكما أن النار تحرق من اقترب منها، فإن الفتن تحرق من تواجد في بيئتها.

• الاستغفار... كالماء الذي يغسل القلب

الزم الاستغفار في كل وقت، فهو الذي يمسح آثار الذنب قبل أن تتجذر في القلب، وهو وصية النبي ﷺ الذي كان يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وهو المعصوم ﷺ فكيف نحن ؟!

بهذه الأسلحة الروحية، تحفظ توبتك من الانكسار، وتبقى على الصراط المستقيم حتى تلقى الله. فطريق الجنة ليس مفروشًا بالورود، لكنه مملوء بأنوار الهداية لمن تمسك بالقرآن، وعاش بطلب العلم، وجاهد نفسه بالليل والنهار.

فكيف تثبت بعد التوبة والاستقامه ؟

قطع الطريق على الشيطان من جذوره

لا يكفي أن تغلق الباب، بل اهدم الجدار الذي يأتيك منه.

احذف كل أثر للذنب من حياتك: صور، أرقام، أماكن، حسابات، وحتى أصدقاء إذا كانوا جسرًا للمعصية وأي شيء له علاقة بمعصيتك.

إغلاق أبواب الفتنة قبل أن تُفتح

لا تقل: "سأرى وأقاوم"، فالشيطان لا يدخل عليك دفعة واحدة، بل يطرق ثم يزحف حتى يسيطر.

والإكثار من الدعاء بالثبات

النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (رواه الترمذي).

فكيف بنا نحن؟

فالانتكاسة بعد التوبة ليست كالذنب قبلها

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[النحل: 92].

المنتكس بعد التوبة يُبتلى بظلمة مضاعفة؛ لأنه عرف الطريق ثم تركه، وذاق حلاوة القرب ثم باعها بثمن بخس.

فأخطر لحظة في حياتك ليست لحظة التوبة، بل اللحظة التي بعد التوبة إما أن تصونها أو تهدرها.

فإن أهوت بك نفسك، فعُد سريعًا إلى باب الرحمن، لا تتأخر وكن صادقًا ، فبابه مفتوح لا يُغلق، وقال رسول الله ﷺ:

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

وتمسك بكتاب الله وسنة نبيه، واجعلهما سلاحك الحصين في حربك ضد نفسك ووساوس الشيطان، واملأ فراغك بالعلم النافع، فإن الجهل والتفاهات هي ساحة الشيطان التي ينصب فيها فخاخه للعبد.

تذكر أن الثبات ليس مجرد فكرة، بل هو جهاد يومي مستمر، كل يوم، كل ساعة، فيكفي أن تعاهد ربك أن لا ترضى إلا برضاه، ولا تستكين إلا لذكراه، ولا تستمر إلا على نهجه.

فاحذر أن تُهدر هذا النعمة الغالية، فلا تكن ممن قال الله فيهم:

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 7].

كن من الذين يُصلحون، يُثبِتون، ويُحبون الرحمن حق محبة، فتكون من الفائزين في الدنيا والآخرة ان شاء الله.

ثبتنا الله وإياكم على كتاب الله وسنة رسوله ....

يا طالب العلم، اعلم أن طلب العلم عبادة عظيمة، بل هو من أجلّ القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، ولا يقبلها الله إلا إذا كانت خالصة لوجهه الكريم، منزّهة عن شوائب الرياء والسمعة، بعيدة عن طلب الجاه أو المال أو المنافسة المذمومة.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]

وقال سبحانه:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ..... »

(متفق عليه)

فالنية هي ميزان القبول، وصلاح العمل إنما يكون بصلاحها، وفساده بفسادها.

يا عبد الله، إن العلم شريف، وهو ميراث الأنبياء، لكن خطره على صاحبه إذا فسدت نيته أعظم من خطر السلاح في يد

الخائن.

وقال ﷺ:

«من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار» (رواه الترمذي)

فما أقبح أن يكون العلم الذي يُرفع به الجاهل، سببًا لهلاك العالم! وما أشد حسرة من أمضى الليالي في حفظ المتون، وأتعب نفسه في الأسفار والمطالعة، ثم يجد صحيفته يوم القيامة خاوية من القبول، لأنه جعل غايته مدح الناس أو كثرة الأتباع!

فكان الإمام سفيان الثوري -رحمه الله- إذا جلس في مجلس العلم، تغير لونه وارتجف قلبه، فقيل له: ما لك؟ فقال:

"والله ما جلست مجلسًا قط إلا وتذكرت أن الله سائلني: ما أردت بهذا المجلس؟"

وجاءه رجل يومًا فقال: أوصني، فقال:

"أخلص النية، فإن الرجل إذا أخلص، ولو كان قليل العلم، نفعه الله به، وإذا فسدت نيته، أفسد الله عليه علمه ودينه."

وكان من شدة إخلاصه يخفي عباداته وقراءته، حتى قيل: "كان الرجل منهم يحفظ آلاف الأحاديث، ولا يشعر به جاره."

كن أهلًا لهذا الحديث قال النبي ﷺ:

«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة» (رواه مسلم).

وهذا الحديث من أعظم النصوص التي تبين شرف طلب العلم، فهو يجعل طريق العلم طريقًا مختصرًا للجنة، لكن ليس أي علم، بل العلم الشرعي النافع، ولا أي طالب، بل من أخلص النية لله وابتغى به وجهه.

ومن مظاهر فساد النية في طلب العلم

• حب الظهور: وهو داء خفي يقتل القلب،

قال ﷺ:

«من سَمَّعَ سَمَّعَ اللّٰهُ به، ومن يُرائي يُرائي اللّٰهُ به».

أي من عمل العمل الصالح أو ذكر أو نصيحة، لكنه ما قصَد وجه اللّٰه، إنما قصَد يُسْمِع الناس بعمله ويُظهِره حتى يُقال عنه صالح أو عالم أو ذاكر.

إن اللّٰه يفضحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، فيُظهر للخلق أنه كان يعمل للرياء والسمعة لا لله.وأن من عمل أمام الناس ليُريهم عمله ويطلب مدحهم. إن اللّٰه يفضحه أيضًا، ويُظهر نفاقه وفساد نيته، وقد يُجازى بنقيض قصده، بدل ما يمدحوه يذموه.

فالحديث تحذير شديد من الرياء والسمعة، لأن الأصل في العبادة أنها لله وحده، فإذا دخلها قصد الناس، بطلت وأصبحت وبالًا على صاحبها.

• مجاراة الأقران ومغالبتهم: وهذا يزرع الكبر، ويطرد بركة العلم.

• طلب الدنيا بعلم الآخرة: واللّٰه يقول:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَالدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]

فكيف تحافظ على إخلاصك في طلب العلم؟

• استحضار أن العلم عبادة

قال الله تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[المجادلة: 11]

فمن جعل علمه خالصًا لله رفعه الله، ومن جعله لغير الله أهانه

الله ولو على رؤوس الأشهاد.

• تذكر أن الرياء يحبط العمل

قال الله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ (سورة الماعون: 4-6)

فإذا كان الرياء في الصلاة - وهي أعظم العبادات - يردها،

فالرياء في العلم أخطر وأشد.

• الدعاء الدائم بالإخلاص

فقد كان النبي ﷺ يقول:

«اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك

لما لا أعلم» (رواه أحمد).

• إخفاء بعض أعمالك

قال ابن القيم:

"الإخلاص أن يستوي عندك مدح الناس وذمهم في العمل، وأن يكون همّك رضا الله وحده."

• مجاهدة النفس على تصحيح النية قبل وأثناء وبعد العمل فإن النية تتقلب، وقد تدخلها الشوائب، ولا ينجو من ذلك إلا من كان كثير المراقبة لنفسه.

فمن ثمرات إخلاص النية

ينير الله لك قلبك : قال الله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282]

قبول في الأرض: قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]

الثبات في الفتن:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27]

يا طالب العلم، تذكر أن علمك سيقف شاهدًا لك أو عليك يوم القيامة، فإياك أن تجعله سلّمًا إلى جهنم.

فاجعل أول همّك في طلب العلم أن تلقى الله يوم القيامة وليس في صحيفتك إلا عمل خالص، بعيد عن رياء البشر، محفوظ من هوى النفس، فإن العلم بلا إخلاص وبال، وصاحبه أول من تسعر بهم النار.

لتقف قبل أن تخطو خطوة واحدة

وضع قلبك بين يديك، واسأله بصدق: "لمن أتعلم؟ ولمن

أكتب؟ ولمن أتكلم؟"

فإن كان الجواب: "لله وحده"، فامضِ، فقد وُفِّقت وسلكت طريق الأنبياء.

وإن وجدت في قلبك ميلًا لمدح الناس أو طلب الجاه أو الغلبة على الأقران... فاعلم أنك على شفير هلاك، وأنك أولى بتطهير قلبك قبل أن تزداد علمًا فيكون وبالًا عليك.

تذكر قول النبي ﷺ عن أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، ومنهم الرجل الذي تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فيُقال له: "ما عملت؟" فيقول:

"تعلمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن"، فيقال له:

"كذبت! بل تعلمت ليقال: عالم، وقرأت ليقال: قارئ"، فقد قيل، ثم يُسحب على وجهه حتى يُلقى في النار (رواه مسلم).

فيا حسرة من أمضى العمر بين الكتب والمحابر، ثم وجد أبواب الجنة مغلقة في وجهه، لأن قلبه لم يكن لله! ويا فوز من حفظ قلبه من الرياء، فأثمر علمه عملًا، وأثمر عمله قبولًا، وأثمر قبوله جنة عرضها السماوات والأرض.

فيا طالب العلم، اجعل نيتك من الآن إلى أن تلقى الله أن ترفع الجهل عن نفسك وعن هذه الأمة، وأن تحيي سنة نبيك ﷺ، وأن تذب عن شرع ربك، واجعل شعارك دائمًا قول الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الأنعام: 162-163]

واعلم أن الله مطلع على قلبك، لا تخفى عليه خافية، فطهّره دائمًا من حب المدح، ومن شوائب الهوى، وأكثر من قول: اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا.

لا تظننَّ - يا طالب العلم - أن الطريق أمامك مفروش بالرياحين، ولا أن المسير سيكون هادئًا بلا عقبات ولا امتحانات.طريق العلم ليس نزهة في بستان، بل هو صراط ضيق، تحفّه الشبهات، وتتناثر على جنباته أشواك الفتن، وتترصّد فيه مكائد الشيطان.

فيه عثرات، وفيه تعب، وفيه بلاءات تُمتحن بها القلوب، ليتميز الصادق الثابت من المتلون المتقلب.

ستلقى في مسيرك من يشكك في نيتك، ويطعن في علمك، ويتهمك بأنك على ضلال.

وربما سمّاك بما لم يسمك الله به، فقط لأنك تقول: قال الله... قال رسول الله ﷺ.

وإن أتيتهم بالدليل من الوحيين، سخِروا منك، وكأنك أتيت به من جيبك لا من كلام الله ورسوله

وسيقفون أمامك بحجج مهزوزة: "أنت صغير لا تدرك ما تفعل غدًا ستكبر وتتعلم".

وكأن الحق مرهون بعدد السنين، لا بنور العقل وصفاء القلب.

نعم، التجارب تزيدك خبرة، لكن العقل الذي يفرّق بين الحق والباطل، لا يُقاس بالشيب ولا بالشباب، بل بصدق النية ونقاء الفطرة.

حين تشتد العاصفة

قد يلبس الباطل ثوب النصيحة، فيأتيك من يقول:

"أنت مخطئ..."

لكن إن كنت على بيّنة من الكتاب والسنة، فلا تتراجع.

إن لم تكن أهلًا للمواجهة، فتجاوزهم وامضِ في طريقك، فالانشغال بالثبات خير من الغرق في جدالات تُطفئ نور القلب.

أما إن كنت صاحب حجة وبصيرة، فكلمة واحدة كافية، فإن قبلوا بها الحمدلله ، وإن أعرضوا، فدعهم، فالهداية بيد الله.

ولا تُطِل الجلوس معهم، فالشيطان يعرف كيف يدخل من ثغرات المجالس الملوثة بالهوى، حتى يُزيّن لك الباطل في صورة الحق، فتبدأ تشك في دينك وعلمك.

فالفتن... بلاء القلوب قبل العقول

الحديث رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«تُعرضُ الفِتَنُ على القلوبِ كالحَصيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ بيضاءُ، حتى تصيرَ القلوبُ على قلبين: قلبٌ أسودُ مُربادّا كالكوزِ مُجَخِّيًا، لا يعرفُ معروفًا ولا يُنكِرُ منكرًا، إلا ما أُشرِبَ من هواهُ، وقلبٌ أبيضُ لا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السماواتُ والأرضُ».

اى يعني الفتن (المعاصي والشبهات والشهوات) تُعرض على القلب شيئًا فشيئًا، كما تُنسج عيدان الحصير عودًا وراء عود، حتى يغطي القلب إمّا بالظلمة أو بالنور

وإذا دخلت الفتنة إلى القلب وتقبلها ورضي بها، نُكت فيه نكتة سوداء، أي نقطة مظلمة.

وإذا رفض الفتنة ونكرها وأعرض عنها، نُكت فيه نكتة بيضاء، أي نور.

حتى تصير القلوب على قلبين:

قلب أسود مربادّ كالكوز مجخّيًا:أي قلب مظلم منقلب لا ينتفع بالهدى، مثل الكوز المقلوب لا يدخل فيه شيء. هذا لا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر إلا ما وافق هواه.

قلب أبيض لا تضره فتنة: أي قلب سليم ممتلئ بالإيمان، كلما مرت به الفتن ردّها فلم تؤثر فيه، فبقي نقيًا صافيًا حتى يلقى الله.

فالفتنة لا تأتيك دفعة واحدة، بل تبدأ بلمسة خفيفة كلمة، جدال، فكرة عابرة ثم يمد الشيطان خيوطه حتى يُقيّد قلبك ويجرّك خطوة خطوة إلى الانحراف.

ولهذا كان السلف يفرّون من مجالس أهل الأهواء، لا خوفًا من الحجة، بل خشية أن يضعف القلب أمام زخارف الشبهات.

والمعركة التي يريدونك أن تخسرها قبل أن تبدأ هي معركة الولاء والبراء.

أيها المسلم افتح بصرك وبصيرتك.

العدو لم يعد يأتيك بسيوف وجيوش، بل دخل بيتك من شاشتك، ومن منصات الأخبار، ومن مقررات التعليم، ومن مؤتمرات "التسامح" و"التعايش" التي يُصفّق لها حتى بعض من ينتسبون إلى الدعوة!

يريدونك أن تتنازل لا دفعة واحدة، بل شبرًا شبرًا، حتى تجد نفسك تصلي في محرابهم وتردد أناشيدهم وأنت تظن أنك على الحق.

عقيدة الولاء والبراء هي جدار الحماية الذي يمنع قلبك من الذوبان في باطلهم.

لكنهم يحاولون هدمه بخطاب عاطفي مزخرف:

"كلنا إخوة في الإنسانية" بلا قيد ولا شرط.

"لا فرق بين الأديان" وكأن الكفر والإيمان سواء!

"الدين لله والوطن للجميع" ليدخلوا الكفر من باب الوطنية.

قال الله تعالى:

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9]

أي: يتمنون أن تتنازل عن دينك، ولو قليلًا، حتى يُظهروا لك الود، بينما العداوة في قلوبهم لا تزول.

فالفتنة السياسية اليوم ليست مجرد لعبة مصالح، بل سلاح موجه إلى عقيدتك.

تُعقد الاتفاقيات باسم "التحالف الدولي"، ثم تُفرض القوانين

المخالفة لشرع الله.

تُربط المساعدات الاقتصادية بفتح الأبواب أمام الفكر الغربي وتمييع الدين.

تُرفع شعارات الحرية، بينما تُكمّم الأفواه التي تقول: "هذا حلال وهذا حرام".

وكم من داعية كان يتكلم بالنصوص، فلما جاءه المنصب، صار يُبرر الباطل ويمدح أهل الكفر، حتى صار القرآن عنده "وجهة نظر"

فإسقاط الثوابت باسم الحكمة

هنا الخطر الأعظم أن تتنازل وأنت تظن أنك حكيم.

تسكت عن الشرك بحجة "عدم إثارة الفتنة".

تغض الطرف عن الكبائر بحجة "جذب الناس".

تقبل التشريعات الوضعية بحجة "مصلحة الوطن".

لكن الله تعالى يقول:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]

لا مجاملة في العقيدة، ولا ولاء إلا لدين الله.

ولو وقف في وجهك العالم أجمعهم ....

فكيف تحمي نفسك وسط العواصف؟

• العلم الشرعي الأصيل: حتى تميّز الحق من الباطل، ولا يلبّس عليك إعلامي أو سياسي.

• الثبات على النصوص: القرآن والسنة حبال النجاة في بحر

الفتن.

• رفض التنازلات الصغيرة: أول خطوة نحو الهاوية تبدأ بكلمة "ليس الآن وقت المواجهة".

• صحبة أهل الحق: جالس من يذكّرك بالله، لا من يبرر لك الانحراف ويزينه.

• الإكثار من الدعاء بالثبات: كما كان أكثر دعاء النبي ﷺ: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

ذكرته كثيرًا الدعاء وسأظل أذكره.

وتذكّر

الفتنة اليوم لا تأتيك على هيئة صنم يُعبد أو جيش يحتل، بل على هيئة مؤتمر سلام، أو شعار إنساني، أو مبادرة ثقافية... حتى تصبح أنت المدافع عن باطلهم وأنت تظن أنك مصلح.

قال ابن القيم رحمه الله:

"الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"،

فلا تنتظر حتى ينكشف الغطاء، وقد بعت دينك بثمن بخس.

أما الآن

أيُعقَلُ بعد أن انشقَّت الأرض من دمائهم الطاهرة، وتفتَّحت السماء بأرواحهم الزكية، أن نساوم في دينٍ رووه بعرق الجباه ودماء الصدور؟!

أيُعقَل أن نفرِّط في أمانةٍ حُمِّلت على أكتافهم حتى أثقلت

ظهورهم، ثم سلّموها لنا نقيةَ بيضاء كالنهار، فنبدّدها في فتنةٍ زائلة أو شهوةٍ عابرة؟!

هؤلاء الصحابة، ما كانوا رجالًا كسائر الرجال، بل كانوا جبالًا راسيات، تكسرت على أقدامهم أمواج الباطل، واشتعلت على صدورهم نار الفتن، فما زادهم ذلك إلا ثباتًا ويقينًا.

تركوا الأوطان، وباعوا المتاع، وهجروا الأهل، وذاقوا الجوع والبرد والسياط، وكل ذلك لأجل كلمة: لا إله إلا الله، حتى صارت تصل إليك الآن بيسر، وأنت تقرؤها على شفتيك آمنًا في بيتك.

فكيف لنا ونحن على موائد النعيم أن نتهاون بما حُفظ بدماء الشهداء، وأن نميل مع الفتن كما تميل الريح بأوراق الخريف؟!

والله إن التفريط فيه خيانة، وإن المساومة عليه عارٌ لا يُغسَل مهما ادّعينا

سأقصّ عليك بعضًا من قصص الصحابة الذين ذكروا بسيرة النبوية، أولئك الذين شقّوا طريقهم وسط العواصف، وتجرّعوا مرارة الابتلاء، وذاقوا صنوف العذاب، حتى بلغ إلينا هذا الدين صافياً نقياً. أفَيُعقل بعد كل تلك الدماء الطاهرة، والدموع الصابرة، والليالِي الطويلة الموحشة أن نساوم عليه؟ أن نفرّط في ميراث أعظم الخلق، ونبيعه في أسواق الفتن الرخيصة، لأجل شهوة عابرة أو دنيا زائلة؟

أَوَ ما نخجل أن نقابل صبرهم بالخنوع، وثباتهم بالتردد،

وصدقهم بالتبرير؟ إن طريق الحق رُوي بدماء الرجال والنساء الذين آمنوا، فصبروا حتى لَقوا اللّٰه وهم ثابتون.

- صبر بلال بن رباح على العذاب في سبيل التوحيد

كان بلال رضي اللّٰه عنه عبدًا مملوكًا لأمية بن خلف، فلما أسلم، عذّبه سيده تحت لهيب الشمس، ووضع على صدره صخرة عظيمة، وكانوا يقولون له: ارجع عن دينك، فيقول: "أحدٌ أحد".

- صبر آل ياسر على القتل والتعذيب

عُذب ياسر وزوجته سُمية وابنهما عمار رضي اللّٰه عنهم أشد العذاب، حتى قُتلت سُمية أول شهيدة في الإسلام، والنبي ﷺ يمر بهم ويقول: "صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة"

- صبر خباب بن الأرت على الإحراق بالنار

كانوا يضعون الحجارة المحماة على ظهره حتى يطفأ حرها بشحم ظهره، ومع ذلك ثبت على الإسلام، حتى قال للنبي ﷺ: "ألا تدعو لنا؟" فقال ﷺ:"كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشق باثنتين، ما يصده ذلك عن دينه".

- وثبات مصعب بن عمير على الحق رغم النعيم الذي تركه

كان من أنعم شباب مكة، فلما أسلم ترك كل رفاهية ونعيم، وخرج داعيًا إلى اللّٰه في المدينة حتى استشهد في أُحد، ولم يجدوا له كفنًا إلا بردة قصيرة إذا غطوا رأسه بدت رجلاه.

- **و صبر أعظم الخلق النبي ﷺ في الطائف**

ذهب ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فقابلوه بالإيذاء ورمي الحجارة حتى أدموا قدميه، ومع ذلك دعا لهم بالهداية، قائلاً:

"اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون".

فهل يليق بنا، وقد بذل الصحابة رضوان الله عليهم أعمارهم، وجادوا بدمائهم، وسهروا الليالي، واحتملوا المشاق العظام حتى بلغنا هذا الدين صافياً كما أنزله الله، أن نساوم فيه أو نفرّط؟! أيعقل أن نقابل هذا الإحسان الجليل بأن تغلبنا الفتن والشهوات؟! أيليق أن نسلم لله دينه وقد دنسته أهواؤنا وكسلنا بعد أن حفظه لنا بصفاء قلوبهم وثبات أقدامهم؟! إن في ذلك خيانة للأمانة، وجحوداً للنعمة، وظلماً لأنفسنا قبل أن يكون ظلماً لغيرنا.

▪ آفة الغيبة والنميمة

إن أخطر ما يبتلى به العبد في مسيره إلى الله، أن يظن أن المعاصي هي فقط الكبائر الظاهرة من شرب خمر أو زنا أو قتل نفس، وينسى أن في قلبه ولسانه آفات أخطر وأشد، تحبط العمل وتستنزف الحسنات، وتجرّه من حيث لا يشعر إلى هاوية الهلاك. ومن أخطر تلك الآفات: الغيبة والنميمة.

قال الله تعالى:

{وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: 12].

الغيبة هي أكلٌ للحوم الناس أحياءً وأمواتاً. قال النبي ﷺ:

«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ» [رواه مسلم].

بل جاء في السنة حديث عجيب يرسم صورة مخيفة لعاقبة الغيبة: جاءت امرأتان إلى النبي ﷺ وقد أنهكهما الجوع والعطش، فطلبتا الإذن أن تفطرا – وكانتا صائمتين – فأمرهما أن تتقيآ، فقاءتا لحماً ودماً وصديداً. فقال ﷺ:

«هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَتَا تَأْكُلَانِ لَحُومَ

النَّاسِ» [رواه أحمد].

فأي قلب هذا الذي يرضى أن يتقرب إلى الله بالصيام ثم يهدم كل شيء بلسان ينهش لحوم الناس؟

أو أي قلب يتقرب من الله ما أمره به، ثم يهدم كل شيء بما نهاهُ عنه.

فالنميمة أشد خطرًا، إذ ليست مجرد نقل كلام، بل إشعال فتنة وقطع روابط الأخوة. قال ﷺ:

«لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» [متفق عليه].

وقد عدّها بعض العلماء من كبائر الذنوب، لأنها تزرع العداوة والبغضاء وتفسد ذات البين، وقد قال ﷺ:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِن دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟»

قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ» [رواه الترمذي].

(إصلاح ذات البينِ)أي إصلاح العلاقات بين الناس

فكيف بمن يتسبب بلسانه في هذا الفساد؟

أتعلم ما الذي تفعله الغيبة؟ إنها سرقة علنية لحسناتك! فأنت تتعب في صلاتك وصيامك وقيامك، ثم تأتي يوم القيامة، فتُهدى حسناتك لمن اغتبتهم! قال ﷺ:

«أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا،

وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار» [رواه مسلم].

فهل يرضى العاقل أن يجمع حسناته لسنوات ثم يوزعها مجانًا؟

فالوقاية

أن نعلم أن اللسان أمانة، والكلمة قد ترفع صاحبها أو تهوي به في جهنم .

أن نستشعر أننا حين نغتاب نأكل لحم أخينا، فكما تكره أن يُذكر عرضك بسوء، فاكفف لسانك عن أعراض الناس.

أن نشغل ألسنتنا بما ينفع: ذكر الله، تلاوة القرآن، والدعاء.

فما فائدة الكلام إن لم يكن ينفع؟!

فكلما شعرت أنك ستغتاب أحد أذكر الله وأبعد عنك وسواس الشيطان ..

قال بعض السلف: "من كَثُر كلامه كَثُر خطؤه، ومن كَثُر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه."

- آفة الحسد

الحسد نارٌ محرقة، وداءٌ خبيث يفتك بالقلب قبل أن يصل أثره إلى غيره، يطفئ نور الرضا، ويغتال السكينة من النفس. وهو أول ذنبٍ وقع في الوجود؛ حين حسد إبليس آدم عليه السلام على الفضل الذي خصّه الله به، فأبى واستكبر وقال في غروره:

{أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: 12].

فكان جزاؤه اللعنة والطرد من رحمة الله إلى يوم القيامة.

فمن حمل الحسد في صدره، فكأنما يعترض على قسمة الله وعدله، ولا يرضى بعطائه وحكمته.

وأيّ عقلٍ هذا الذي يرضى أن يرى النعمة عند غيره، ويغضب إذا حُرِم منها هو؟! أليس في هذا سفه وظلم للنفس قبل الغير؟

وقد قال معاوية رضي الله عنه كلمةً نافذة: "كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد النعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها".

فالحاسد لا يشبع، ولا يعرف للقلب طمأنينة؛ يظل يراقب هذا ويقارن ذاك، فيمضي عمره في غصّة لا تنقطع، وحسرة لا تزول.

ولذلك حذّرنا الله تعالى من هذا الداء فقال:

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} [النساء:54].

وقال سبحانه:

{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم} [البقرة: 109].

وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ:

"إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" [رواه أبو داود].

وقال ﷺ:

"لا يجتمع في جوف عبدٍ الإيمان والحسد" [رواه النسائي].

ولهذا صدق من قال: "لله درّ الحسد، ما أعدله! بدأ بصاحبه فقتله".

فالحاسد أوّل من يُظلم بحسده؛ يعيش في ألمٍ دائم، وعذابٍ متجدد، يُتلف قلبه، ويُهدر حسناته، ويزرع في صدره الضيق والحرج.

أما المؤمن الحقّ، فهو من سلِم صدره، ففرح لنعمة أخيه كما يفرح لنفسه، وسأل اللّٰه من فضله دون أن يتمنى زوال فضل غيره.

وإن رأى من النعم ما يُخشى أن يُحسد عليه، كتمها عن عين الناس، وحمد اللّٰه سرًّا وجهارًا.

أيها القارئ رحمك اللّٰه وإياني إيّاك أن تجعل قلبك مرتعًا لهذا الداء الخبيث. احمد اللّٰه على ما أعطاك، واسعَ إلى ما ينفعك، واسأله أن يبارك لك ولإخوانك، فإن الرضا والبركة يجلبان السعادة، والحسد لا يجلب لصاحبه إلا الخسران.

وتذكّر أن حسدك لفلان أو علّان لن يجلب لك سوى الوجع، فلن ينقص رزقك ليزيد رزقهم، ولن يزيد نصيبك بنقصان نصيبهم. إنما لكل امرئ قدر مكتوب ونصيب مقسوم، فارضَ بما قسم اللّٰه لك، واحمده على ما وهبك، تكن أسعد الناس قلبًا وأهنأهم عيشًا.

- **آفة الرياء**

هو أن يعمل الإنسان العمل الصالح، يقصد بظاهره وجه الله تعالى، ولكن يطلب من ورائه نظر الناس وثناءهم.

قال تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: 4-6].

الرياء من كبائر القلوب، وهو شرك خفيّ، قال النبي ﷺ:

«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء» رواه أحمد.

فالرياء يحبط العمل، ويوجب العقوبة، لأن العبد صرف شيئًا من العبادة لغير الله.

الفرق بين الرياء والتشريك في النية

الرياء: أن يقصد العبد بعمله نظر الناس وثناءهم، لا يبتغي وجه الله. وهذا يبطل العمل ويأثم به صاحبه.

التشريك في النية: أن يؤدي العبد العبادة قاصدًا بها الله تعالى، ولكن يدخل على نيته شيء من الدنيا، كمن يجاهد يريد وجه الله ويطلب غنيمة، أو يحج يريد الأجر ويرجو التجارة.

وهذا ينقص أجر العمل ولا يبطله بالكلية

الرياء قد يكون في العبادة على حالتين:

. عند ابتداء العبادة:

أن يشرع العبد في العبادة من أجل الناس، لا لله.

مثال: رجل كان جالسًا، فلما دخل شخص قام ليصلي أمامه ليُرى. فهذا عمل مردود لا يُقبل عند الله.

. أثناء العبادة:

أن يشرع في العبادة مخلصًا لله، ثم يدخل عليه الرياء بعد ذلك.

مثال: رجل يصلي، ثم يدخل عليه أحد، فيُحسن صلاته ويطيلها ليُمدح. فهنا يُقبل أصل العمل، ولكن الجزء الذي دخله الرياء لا يُثاب عليه.

فعلاج الرياء

الاستعانة بالله وسؤاله الإخلاص في القول والعمل.

إخفاء الطاعات قدر المستطاع، فقد قال ﷺ:

«من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل» رواه البيهقي.

تذكر حقارة الناس وعظمة الله، فالخلق لا يملكون نفعًا ولا ضرّا.

تربية القلب على مراقبة الله، وأن يعلم العبد أن الله مطّلع على السرائر.

فالرياء داء خطير يفتك بالقلوب، وهو الشرك الأصغر الذي يحبط الأعمال. فعلى المسلم أن يحرص على الإخلاص، وأن يسعى دومًا لأن تكون عباداته لله وحده، لا يلتفت إلى مدح الناس ولا إلى ذمهم، بل يجعل شعاره قول الله تعالى:

﴿قَلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

وتذكر متى عمل المؤمن عملًا صالحًا مخلصًا لله فلا يضره ما يعرض له بعد ذلك من الوساوس، بل عليه أن يستعيذ بالله من الشيطان ويمضي في طريقه، ولا يلتفت إلى هذه الوساوس، فإنها من الشيطان.

- آفة حب الدنيا وقسوة القلب

بداية الدنيا متاع الغرور

فلا تتعلق بزينة الحياة وشهواتها، فإنها إلى زوال. كم من قلب افتتن ببريقها حتى غفل عن خالقه، وكم من نفس أسرتها ملذاتها الفانية حتى صارت أسيرةً في سجنها الكبير. قال الله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20].

أكثر الناس ابتلاءً في رأي حين يفتنهم زخرف الدنيا وزينتها، فيسعون وراء المال والجاه والمظاهر، ويغفلون عن زاد الآخرة. من جعل الدنيا همَّه الأكبر، نسي أن الآخرة هي المقر وهي الدار الباقية.

فلا تغرنك جمال الحياة التي تلهي القلب عن الله وعن القرآن وعن سنة نبيه ﷺ، حتى يُرى الدين كأنه تشدد، ويُظن العلم الشرعي أنه قيود وأغلال.

ولكن والله إن الشيطان زيَّن للناس الدنيا، وجمَّلها في أعينهم، فظنوا أن فيها لذّةً دائمة، وغفلوا عن أعظم لذةٍ وأكملها: لذة القرب من الله، والأنس بذكره، والطمأنينة في طاعته.

ما بالك يا أخي ويا أختي وما الذي يشغلك في دنياك؟

أيُشغلك فقط أن تجمع المال؟

أيُشغلك فقط أن تكثر شهاداتك الدراسية؟

أيُشغلك أن يُقال عنك ذا خبرة ومكانة؟

لا أُنكر أن هذه أمور مطلوبة، لكنها ليست الغاية الكبرى، ولا هي أثمن من ا لآخرة وعلوم الدين. ليست أهم من أن تملأ صحيفتك بالأعمال الصالحة، وأن تُعِدّ لك عند الله حصالةً تُفتح لك بها أبواب الجنة.

سؤال لابد منه

أجب بصدق: هل ستدخل الجنة بشهادتك الجامعية فقط؟

أم بأموالك التي جمعتها؟

كلا والله!

بل ستُسأل عنها: من أين اكتسبتها؟ وفيما أنفقتها؟ وستُسأل عن عمرك فيم أفنيته، وعن شبابك فيما أبليته.

فمن انغمس في الدنيا، قسا قلبه وغفل عن ذكر الله، فلا يتأثر بآية ولا يلين لموعظة. قال الله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 22].

فيا حسرةً على من أشغلته الدنيا عن الآخرة، حتى صار قلبه كالحجارة، بل أشد قسوة.

دواؤك أن تتذكر حقيقة الدنيا، وأنها ظل زائل وحلم منقطع.

وأن تكثر من ذكر الله وقراءة القرآن، فإنه شفاء القلوب.

وأن تعود نفسك على الطاعة، وتُعرض عن زخارف الحياة الزائلة.

وأن تلازم الصالحين ومجالس الذكر، فإنها حياة للقلوب.

الدنيا وسيلة وليست غاية، مزرعة وليست مقصداً.

لا خير في دنيا تبعدك عن الآخرة، ولا بركة في مال يشغلك عن الله. فاعمل لآخرتك، تفز بالدنيا والآخرة معًا.

قال النبي ﷺ:

«من كانت الآخرة همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له» رواه الترمذي.

فليكن شعارك: أن تجعل كلمة الله هي العليا، وأن يكون همّك رضاه ودار كرامته، عندها يلين قلبك وتفوز فوزًا عظيمًا .

فإنّ آفات القلوب والألسنة كالدود الذي ينخر في الجسد؛ لا يُرى في بدايته، لكنه يُنهك صاحبه حتى يرديه.

الغيبة نارٌ تأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب، والحسد سمٌّ يسري في العروق حتى يُطفئ نور القلب، والكِبر حجابٌ أسود

يحجب عن صاحبه أبواب الرحمة. وما أعجب أن يُسجن العبد في سجنٍ بناه بيده: كلمة جارحة، أو نظرة حاسدة، أو ضغينة دفينة.

ثم يضاف إلى ذلك حب الدنيا وقساوة القلب، فإذا اجتمع الداءان عَمِي البصر عن الحق، وغلُظ القلب عن الذكر، فلا تدمع عين، ولا يلين فؤاد، ولا يتحرك لعمل صالح. وما أشدَّ أن يلقى العبدُ ربَّه وقد باع آخرته بعرضٍ فانٍ، وضيَّع قلبه خلف لذّات زائلة، حتى ختم عليه بالقسوة والحرمان.

ألا فليحذر العاقل أن يلقى اللّٰه بلسانٍ ملوَّث، أو قلبٍ مظلم؛ فإن الجوارح تبلى، واللسان يسكت، ولا يبقى إلا ما خطّه القلب وما نطق به اللسان. فطوبى لمن سلِم صدره، وحُفظ لسانه، وزُكِّي قلبه، ولقي ربَّه بقلبٍ سليم.

الحمد لله الذي كتب الموت على خلقه، وجعل الدنيا دار ابتلاء وعمل، والآخرة دار جزاء ومآل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة، إن الموت حق لا مفرّ منه، وقد قال الله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:185]،

وهو انتقال العبد من دار إلى دار، من دار العمل إلى دار الجزاء. فمن عرف هذه الحقيقة استعد لها بالعمل الصالح، ومن غفل عنها عاش في لهو وغرور، حتى إذا جاءه الأجل ندم حيث لا ينفع الندم. وقد كان السلف رحمهم الله يذكّرون أنفسهم بالموت دوماً، فهذا الحسن البصري يقول:

يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك.

إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم قال جل شأنه:

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة:9].

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أطوار الجنين فقال:

«إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه،

وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد» [رواه البخاري ومسلم].

فأنت أيها المسلم، لم تُترك سُدى، بل قدّر الله أجلك منذ أن كنت جنيناً، ورزقك مكتوب، وعملك محسوب، وسعادتك أو شقاوتك معلومة عند الله. قال ابن القيم رحمه الله: العاقل يعلم أن عمره رأس ماله، فإذا أنفقه في طاعة الله فهو الربح، وإذا أنفقه في معصية الله فهو الخسران المبين.

قال الله تعالى في ختام سورة الواقعة عن اهل القيامة:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:83-96].

فهذه الآيات العظيمة بيّنت مصير العبد عند الموت إلى ثلاثة أقسام:

. المقرّبون: وهم أهل الطاعة والعبادة، لهم روح وريحان وجنّة نعيم.

. أصحاب اليمين: وهم عموم المؤمنين، يلقَون بالسلام والطمأنينة.

. المكذبون الضالون: وهم الكفار والمنافقون، فلهم الحميم

والجحيم.

قال ابن كثير رحمه الله: هذه أحوال الناس عند خروج أرواحهم، فمنهم من تفتح له أبواب السماء، ومنهم من تُغلق دونه ويُطرح إلى الأرض طرحاً.

والموت له سكرات يشهدها كل إنسان، حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسلم منها.

فقد جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات» [رواه البخاري].

فالمؤمن إذا حضره الموت تنزل عليه ملائكة الرحمة كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:30].

أما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسوح من النار، وينزعون روحه نزعا شديدا. قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه حتى تخرج روحه تقطع كما يُنتزع السفود من الصوف المبلول» [رواه أحمد].

والقبر أول منازل الآخرة، والبرزخ هو ما بين الموت والبعث.

فيه إمّا نعيم وإما عذاب.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»

[رواه الترمذي].

سؤال الملكين

بعد الدفن، يأتي الملكان فيسألان الميت: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

المؤمن يجيب بثبات: ربي الله، ديني الإسلام، ونبيي محمد.

فيقال له: نم قرير العين، وافتح له باب إلى الجنة.

الكافر أو المنافق يقول: هاه هاه لا أدري، فيضرب بمطرقة من حديد، ويفتح له باب إلى النار.

من صور النعيم: توسيع القبر، مدّ بصره فيه، تفريش القبر من الجنة، فتح باب له إلى الجنة، تطييبه بروائحها.

ومن صور العذاب: تضييق القبر حتى تختلف أضلاعه، فتح باب له إلى النار، ضربه بمطارق الحديد.

وقد مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال:

«إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»

[رواه البخاري].

لما طُعن عمر رضي الله عنه وهو يصلي بالناس، وحُمل إلى

بيته، كان يقول: إن يكن القضاء خيراً رضيت، وإن يكن بلاءً صبرت. وكان يسأل عن الصلاة وهو ينزف الدم، فقيل له: نعم، قد صليت، فقال: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

قصة بلال بن رباح رضي الله عنه

حين حضرته الوفاة قالت زوجته: واحزناه! فقال: بل واطرباه، غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه. وكان يُبشَّر بالجنة لما لاقى من بلاء وصبر وثبات على الدين.

قصة عامر بن قيس

لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولكن أبكي أنني لا أستطيع بعد الآن أن أقوم الليل، ولا أن أصوم النهار، ولا أن أذكر الله بين الناس.

ونحن في غفلة عن العبادة ...

فإذا انتهت الدنيا، يأمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور:

. النفخة الأولى (نفخة الصعق): فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

. النفخة الثانية (نفخة البعث): فإذا هم قيام ينظرون.

ويقوم الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً. وقد قالت عائشة رضي الله عنها:

«يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: يا عائشة، الأمر أشد من أن يهمهم ذلك»

[رواه البخاري].

ومن أهوال يوم القيامة

تدنو الشمس من الخلائق حتى تكون قدر ميل، فيغرق الناس في العرق على قدر أعمالهم.

يُؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

تنشر الصحف، ويُؤتى بالميزان، وتُعرض الأعمال.

قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:2].

ومواقف الناس يوم القيامة

المؤمنون: يُعطَون كتبهم بأيمانهم، ويُنادون بين الخلائق، ويُبشَّرون بالجنة.

الكافرون والمنافقون: يُعطَون كتبهم بشمائلهم أو من وراء ظهورهم، ويُساقون إلى النار زمراً.

أهل الكبائر من المسلمين: تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء عذبهم ثم أخرجهم برحمته.

جعلنا الله وإياكم من المومنين .

هذه مشاهد عظيمة ينبغي للمسلم أن يستحضرها آناء الليل وأطراف النهار. القبر، والبرزخ، وأهوال القيامة، كلها حقائق آتية. قال الله تعالى:

﴿وَاتّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثَمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:281].

فلنستعد لذلك اليوم العظيم، ولنكثر من الصالحات، ولنتب إلى الله توبة نصوحاً قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

أختتمها بقولي:

أيا عِبْدَ ربّي، قد أتاكَ المُنادي
فنَاعي المنيّةِ في الدُجى ذو سَدادِ

أفِقْ من غُفولٍ طالَ دهركَ فيهِما
فما في التواني غيرُ دمعٍ وَكادِ

أما آنَ للقلبِ المُسجّى تَوبَةٌ؟
وقد لاحَ فجرُ الذاكرينَ الشدادِ؟

وما أدركتْ نفسٌ بأَيّانَ يُدْعَنا
إذا صاحَ فينا صائحٌ من بِلادِ

فهل لكَ في يومِ الحسابِ مَهَابَةٌ؟
وهل لكَ في حكمِ المليكِ أيادي؟

أتُحْسِنُ ردًّ ا إنْ سُئلتَ لِمَ اقترفتَ؟

وهل لكَ عذرٌ في الخطايا الشدادِ؟

شبابُكَ، أينَ؟ فيمَ أفنيتَ عُمرَه؟
وما زِدتَ فيهِ غيرَ سعيِ الفسادِ

دفعتَ ثمنَ الجنّةِ؟ أم ضيّعتَها؟
وأخذتَ من الدنيا فُتاتَ الرّغادِ

فواللّٰهِ، إنّي أَبصرُ القومَ قد مَضَوا
صغارًا وكُهولًا في طُرُقِ الرّقادِ

رُضّعٌ كأنّ الموتَ خَطّ بعيْنِهم
سُطورًا على جَفنٍ كسطرِ الجلادِ

ألا فاعلموا أنّ الصباحَ مُريبُنا
ولعلَّ الليالي لا تُفيقُ لعادِ

نسأل اللّٰه أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، وأن يحشرنا تحت لواء سيد المرسلين، وصلى اللّٰه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما الآن الحمد لله الذي وفّق وأعان، وأتمّ بنعمته هذا العمل، فما كان فيه من صوابٍ فبفضل اللّٰه وحده، وما كان فيه من خطأٍ أو تقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر اللّٰه منه.

أيها القارئ الكريم، فليس المقصود من العلم حشو الأوراق ولا زخرفة العبارات، وإنما المقصود حياة القلوب وعمارة البصائر وتثبيت الأقدام على صراط اللّٰه المستقيم.

والدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما زُخرفت فهي إلى زوال، وما العمر إلا أنفاس معدودة، يُطوى بها دفتر العمل، ويُعرض على اللّٰه بلا زيادة ولا نقصان. فطوبى لمن وعظته الكلمات، وأيقظته العِبر، وعمِل بما علِم، ولم يجعل هذا العلم حُجّةً عليه يوم يلقى اللّٰه.

وسلامٌ عليك ما دمتَ حيّا، وسلامٌ عليك حين تقرأ، وسلامٌ عليك يوم تلقى اللّٰه بقلبٍ نقيٍّ يضيء كالنجم

وفي الختام أسأل اللّٰه جلّ وعلا أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجهه، مباركًا في أثره، شاهدًا لي لا عليّ، وسببًا لرقّة القلوب، وصلاح النفوس، وأن يجمعني وإياكم في جنات النعيم على سررٍ متقابلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللّٰه وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.